www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com
محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الرابعة | 15 آذار 2017

زيتون

العدد :151

عاصمة الزيتون على أبواب السنة السادسة للثورة

ستة أعوام من عمر الثورة، كيف مرت على إدلب؟ وأين وصلت؟.

وعد البلخي

الوضع الصحي:

وصلت المحافظة من الناحية الصحية إلى درجة عالية من المسؤولية والتنسيق والتنظيم، حيث باتت لا تخلو مدينة أو بلدة من مركز صحيّ على اختلاف مستواه، وشملت حملات التلقيح نحو 90٪ من أطفال محافظة إدلب والنازحين إليها، وتميزّ عمل مديرية الصحة في إدلب بالتنسيق العالي والتنظيم، على كافة أقسامها، لا سيما هيئة الرقابة الدوائية، التي قامت بإغلاق الصيدليات المخالفة في المحافظة، وسحبت ولا تزال تقوم بسحب الأدوية أو التحضيرات المخالفة للمواصفات القياسية والدستورية، كما فعّلت مديرية صحة إدلب بتاريخ 2016/4/1، عمل مركز الطب الشرعي وتم تشكيل هيئة الطب الشرعي بمحافظة إدلب وريفها بشكل رسمي، وذلك لتوثيق الشهداء مجهولي الهوية، والمساعدة في كشف ملابسات الجرائم، وكشف الأخطاء الطبية التي من الممكن حدوثها، وتم ربطها بالمخافر والمحاكم، والاستعانة بخبير أدلة جنائية.

الوضع التعليمي:

على العكس تماماً كان الوضع التعليمي في محافظة إدلب سيئاً جداً، حيث تدمرت الكثير من المدارس، وباتت الكثير من المدارس بلا مقاعد، وتعاني نقصاً حاداً في المستلزمات، وتحوّل الكثير منها إلى التدريس ضمن ملاجئ تحت الأرض خشية القصف، وحفاظاً على سلامة الطلاب، في ظل تسرب كبير للأطفال من المدارس، كما أصبح عدد كبير من المعلمين بلا رواتب، واستعانت الكثير من المعاهد الخاصة بمعلمين غير حاصلين على شهادات جامعية، وجاء ذلك وسط حرب بين التربيتين الحرة والنظامية، كان الخاسر الوحيد فيها هم الأطفال والمعلمين.

التعليم العالي:

تم افتتاح جامعات خاصة وحكومية ومعاهد إعداد مدرسين وغيرها، ولكن مع وجود سلبيات كوجود جامعات خاصة غير مرخصة، فقد فيها الطلبة سنيناً من عمرهم بالإضافة إلى المال الذي خسروه، وما كان لذلك من تأثيرات نفسية واجتماعية عليهم.

الوضع الخدمي:

تم مؤخراً إعادة تفعيل خط الكهرباء الإنساني، وترتب عليه تأمين الكهرباء للأهالي ولبعض المؤسسات الخدمية، بانتظار تحسين قدرة الخط ليشمل كافة المؤسسات، ونُفّذت العديد من المشاريع الخدمية لاسيما التي تخص المياه، والتي تعد أكبر مشكلة تواجه الأهالي في ريف إدلب مع اختلاف في النوع والكم، ووجود عثرة الجباية في طريقها، وبقاء المياه كأكبر مشكلة في حياة الأهالي، وتنفيذ حملات توعية في بعض مناطق الريف الإدلبي لترشيد استهلاك المياه، في حين يزداد الوضع المعيشي في المنطقة سوءً يوماً بعد يوم، نتيجة ارتفاع باهظ في أسعار المواد الأساسية اللازمة وعدم وجود سلطات رقابية أو محاولات لتوحيد الأسعار.

بما يتعلق بمادة الخبز كان هناك محاولات لتأمينه بجودة مقبولة أو ممتازة طيلة ساعات اليوم، وتم توحيد أسعاره بعد أن عاد دعم الخبز في بعض المدن بعد انقطاع لأكثر من شهر.

كما تسابقت بلدات ومدن إدلب في تنفيذ حملات الربيع وزرع آلاف الغرسات، وذلك بهدف إعادة الاخضرار للمدينة وعودة العمل الجماعي والتعاون بين كافة الفعاليات المدنية والمواطنين، وإعادة المظهر الحضاري لتلك المناطق، وتعويض ما خسرته جراء قصف قوات الاسد لها، رافق المشروع إزالة الأنقاض ومخلفات قصف النظام، لاسيما تلك التي تعيق الحركة المرورية أو التي قد تشكل خطراً على حياة المواطنين، بالإضافة إلى إعادة تأهيل الطرقات، وإضافة الرسوم على الجدران لإعادة روح الثورة إلى الشارع، وتمت هذه الحملات عبر تضافر جهود عدد من الفعاليات المدنية والثورية والمنظمات المحلية والأهالي.

وكل ذلك وسط محاولات من المجالس المحلية والمؤسسات الخدمية والمدنية، لبناء جسور الثقة مع الأهالي، ووسط محاولات من الكثير منها للوصول إلى مستوى أفضل من حيث الشرعية والبنية القانونية، ولكنها لم تصل للمستوى المطلوب، وواجهت الكثير من الصعوبات المختلفة.

الفلتان الأمني في ريف إدلب معركة صامتة وصراع الفصائل

من الناحية الأمنية والعسكرية، تواجه محافظة إدلب على أبواب العام السادس للثورة، الأزمتين الأكبر في مسيرتها، حيث بدأ في 2017/1/23، صراعاً بين الفصائل العسكرية المتواجدة على أرضها، توحّدت تجاهه كلمة كافة مدن وبلدات المحافظة، رافضةً له، ومطالبةً بتحييدها عنه، وعدم مرور أية أرتال تابعة لأي فصيل في أراضيها، وجاء ذلك بعد ما سمّي بالثورة الجديدة في محافظة إدلب، والتي اندلعت في صباح يوم الثلاثاء 2016/12/13، وشهدت توحيداً لكلمة الأهالي في المحافظة، حيث طالبوا بنصرة حلب وإشعال الجبهات وعزل القادة المتخاذلين، واستمرت لعدة أيام، ولكنها سرعان ما خمدت.

وجاء ذلك في ظلّ فلتان أمنيّ عاشته مدن وبلدات المحافظة، العام الماضي، ويزداد يوماً بعد يوم دون القدرة على إيجاد حلّ له، حيث لا يخلو صباح بلا جثث مرمية على أطراف الطرقات في ريف إدلب، أحياناً جثث لمدنيين وغالباً لعسكريين بانتماءات مختلفة، ليكتشف الأهالي فيما بعد أنهم لشبان كانوا قد خطفوا منذ شهور على يد مجهولين، فضلاً عن حالات الخطف والاغتيال التي يوصف منفذيها بالمستوى العالي والتدريب الممتاز.

وحتى الآن لم يتم إيجاد حلول لهذه الحالة الأمنية الخطيرة، أو القدرة على السيطرة عليها أو الحدّ منها، على الرغم من المحاولات التي تمت كتشكيل كتائب أمنية في معظم المدن والبلدات، وإنشاء الحواجز داخل وخارج المدن والبلدات، وتكاتف الأهالي مع الجهات الأمنية، كما تمّ أمس الثلاثاء 2017/3/14، الإعلان عن تشكيل فرع جديد للقوة الأمنية في مدينة إدلب تحت مسمى "القوات الخاصة" بهدف توفير مستوى أفضل من الأمن للمدنيين.

وترتّب على ذلك الفلتان الأمني، قيام عددٍ من المدن والبلدات في المحافظة بحملة بعنوان "لا للسلاح بين المدنيين"، وذلك للتأكيد على خطورة وجود السلاح بين السكان، وبأنه حالة غير صحيحة وخطيرة ولها نتائج سلبية على المجتمعات.

وجهة مهجري سوريا تحاول مواجهة الكثافة السكانية

أجبر نظام الأسد العام الفائت من عمر الثورة، العديد من المدن والبلدات لاسيما في محيط العاصمة دمشق، على توقيع اتفاقيات مصالحة وتهجير لأهلها، تحت ضغط سياسة الأرض المحروقة والحصار التي اتبعها في تلك المدن والبلدات، وكانت الوجهة دائماً هي محافظة إدلب.

فاستقبلت المحافظة المهجرين من مدن وبلدات ريف دمشق، والتي شهدت عمليات التهجير الإجبارية، بأعداد مختلفة، والتي كان أولها من مدينة "داريا"، وآخرها من "وادي بردى"، وبينهما كانت مدن وبلدات "زاكية، وخان الشيح، وبيت تيما، وقدسيا، والهامة"، بالإضافة إلى مهجري الأحياء التي خضعت للحصار في مدينة حلب، فضلاً عن محاولة في حي الوعر الحمصي تم تغيير وجهتها، ومحاولات لا تزال قائمة في مناطق جنوب دمشق، وغيرها.

وبرغم القصف والمعاناة والفقر التي يعيشها أهالي إدلب، إلّا أنهم وبروح دافئة تمتزج بالأخوّة ووحدة المصير الثوري، قاموا باستقبال إخوانهم من باقي المدن، وتقاسموا معهم كافة مستلزماتهم، وسارعوا الى تأمين بعض المنازل مع مستلزماتها.

كما نفذت المجالس المحلية والمنظمات العديد من المشاريع لمواجهة الازدحام السكاني الضخم، الذي ترتب على عمليات التهجير التي تمت بالتزامن مع قصف ممنهج من قبل نظام الأسد، استهدف البنى التحتية والمنشآت والمرافق الحيوية في المحافظة، في ظل إمكانيات محدودة جداً لتلك المناطق، حاولت المجالس المحلية فيها إثبات نفسها والتعاطي مع هذا التضخم بشكل فعال ومثمر.

وعلى الرغم من وجود الكثير من السلبيات في حياة الأدالبة، إلا أنها لا تخلو من الإيجابيات أيضاً، والإيجابية الأكبر تكمن في محاولة معرفة مواطن الخلل، حتى ولو لم تنجح إلا أنها تعتبر خطوة على الطريق الصحيح، أملاً في أن يمحو العام السادس ما سبقه من سلبيات.

الثورة ستنتصر

محلي سراقب يعلق عمله مع نقابة المهندسين الأحرار.. والأسباب!

أصدر المجلس المحلي لمدينة سراقب وريفها، في الرابع من آذار الجاري، قراراً حمل الرقم /204/، والقاضي بتعليق العمل مع فرع نقابة المهندسين الأحرار في مدينة سراقب لمدة شهر.

وجاء في نص القرار: «بناءً على اجتماع المكتب التنفيذي المنعقد في 2017/3/4، تقرر ما يلي: تعليق العمل مع فرع نقابة المهندسين الأحرار بسراقب لمدة شهر من تاريخه، وذلك نتيجة لإخلال فرع نقابة المهندسين الأحرار بسراقب بمذكرة التفاهم الموقعة بينه وبين المجلس المحلي».

وحول ذلك، قال المهندس «خالد الخالد» من المكتب الخدمي في المجلس المحلي لمدينة سراقب، وأحد أعضاء فرع نقابة المهندسين الأحرار في سراقب لـ «زيتون»: «إن قرار تعليق التعاون مع النقابة هو إقصاء للخبرات الهندسية الفنية عن العمل الفني في المجلس المحلي في مدينة سراقب، وسيؤدي إلى إيقاف مشروع مسح الأضرار في مدينة سراقب وريفها، وهو مشروع ضروري جداً للمدينة والريف على حدٍّ سواء».

في حين قال المهندس «جابر العليان» رئيس نقابة المهندسين الأحرار في سراقب لـ «زيتون»: «نحن في النقابة لا نعرف سبب القرار وعلى أية أسباب تم اتخاذه، فليس هناك أي خلاف بين نقابة المهندسين والمجلس المحلي في سراقب، بل بالعكس قمنا بتنفيذ مذكرة تفاهم للمساعدة، وقدمنا الدراسات وأشرفنا على جميع المشاريع، فضلاً عن مسح جميع أضرار البنى التحتية في مدينة سراقب وريفها، وأبدينا استعدادنا لتدقيق أية مشاريع مقدمة من قبل المجلس والإشراف عليها، ونحن كنقابة مهندسين وكمنظمة مهنية مدنية لمحافظة إدلب بالكامل، ولدينا مكاتب في كل المناطق الإدارية في المحافظة، وجميع أعضاؤها من المهندسين الأحرار».

وأضاف «العليان»: «يقوم المجلس في سراقب حالياً بتنفيذ مشروع تزفيت، ونتيجة لبعض الأخطاء في التنفيذ، منها تنفيذهم لمطبات غير نظامية في الطرقات، تم انتقادهم من قبل عدد من المواطنين، من بينهم مهندسين من النقابة، ونتيجة لهذه الانتقادات قام المجلس باتخاذ هذا القرار بتعليق التعاون معنا، وللأسف لم يكن لنا أية علاقة بهذه الانتقادات، ولكن من باب كم الأفواه ومحاولة التغطية على بعض الأخطاء في تنفيذ المشاريع، علما بأنه تم انتقاد المجلس وتنفيذه الخاطئ للمشروع من قبل مجلسي الشورى والأعيان في المدينة، ونحنا بدورنا قمنا بإعلام مجلسي الشورى والأعيان بإيقاف عملية مسح الأضرار الجارية حالياً في سراقب، وانتقلنا إلى مدينة أخرى حتى يتم تبرير هذا القرار وتقديم الاعتذار».

وتابع «العليان»: «لم يخبرنا المجلس بالأسباب التي بُني عليها هذا القرار، بالرغم من عدم وجود أي تأثير لنا كنقابة المهندسين على عمله، ولكن إن كان هناك انتقادات من مواطنين في سراقب على تنفيذ المجلس لبعض المشاريع فما علاقة نقابة المهندسين في ذلك».

وكان المهندس في المكتب الهندسي «حسن قدور»، كتب على صفحته الشخصية في موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك»: «نحن في المكتب الهندسي سبق وأخلينا مسؤوليتنا عن الإشراف أو دراسة مشروع التزفيت في مدينة سراقب، وليس لنا أية علاقة به، وحالياً يقوم المجلس المحلي بالإشراف عليه وإدارته وأي خلل في دراسة أو تنفيذ المشروع يقع على الجهة صاحبة العلاقة وهي المجلس المحلي».

مقر المجلس المحلي الجديد في سراقب - زيتون

من جانبه «إبراهيم باريش» رئيس المجلس المحلي لمدينة سراقب وريفها قال في حديث خاص لـ «زيتون»: «لقد أبرم المجلس المحلي مذكرة تفاهم مع نقابة المهندسين الأحرار في مطلع الشهر التاسع من العام الماضي، ومن ضمن بنود المذكرة التشاور والتنسيق والتفاهم مع النقابة بجميع الأمور التي تخص المدينة» .

وأضاف: «ودخلت نقابة المهندسين كشريك مع المتعهد في مشروع التزفيت، حيث قام مجموعة من المهندسين بإبرام اتفاق شراكة مع المتعهد عبد الباسط الأسود، وحصل حول المشروع إشكاليات متعددة أدت إلى انسحاب المتعهد، وتحويل المشروع إلى متعهد آخر، وبالتالي انسحاب نقابة المهندسين من المشروع، وفي مرحلة متقدمة قمنا بتكليف رئيس مكتب الخدمات من أجل جرد بعض المواد التي قدمت لمشروع المياه، وكان ضمن اللجنة المهندسين خالد الخالد ورامي قدور مع المهندس محمد عكلة، وعند جرد المواد رفض المهندس أحمد عكلة المشرف على المشروع التعامل مع اللجنة، وتم تقديم تقرير من قبل اللجنة للمجلس المحلي برفض اللجنة، فقام المجلس المحلي بمعالجة الموضوع بشكل مؤسساتي».

وأوضح «باريش» أن أحد أعضاء نقابة المهندسين، قام بخطوة أخرى ألا وهي إثارة موضوع مشروع التزفيت ووجود المطبات على مواقع التواصل الاجتماعي، فحصلت تعليقات تمس كرامة المجلس، وطلبنا إلى المهندس حذف المنشور والردود عليه، كونها كانت مسيئة وسلبية جداً، وبدل أن يتم حذف المنشور قام مهندسون آخرون من النقابة بنشر الأعمال التي تكلفوا بها على صفحات التواصل الاجتماعي، الأمر الذي يخالف بنود مذكرة التفاهم الموقعة بين المجلس والنقابة، كما قام كلاً من المهندسين خالد الخالد ورامي قدور بنشر تقريرهم فأثاروا جدلاً حول عمل المجلس ومهنيته».

وأشار إلى أن المجلس كان قد قدم تقريراً للمنظمة في وقتٍ سابق، وطلب توجيه تنبيه لمدير المشروع من أجل التعاون مع المجلس، ووضع كافة مقدرات المشروع تحت تصرف المجلس، وقد تم التجاوب مع المجلس من قبل المنظمة.

وقال «باريش»: «لقد قام عدد من المهندسين بتصرفات تمس عمل النقابة وتخالف بنود مذكرة التفاهم، مما أدى إلى اتخاذ قرار من قبل المكتب التنفيذي في المجلس المحلي في مدينة سراقب وريفها، بتعليق مذكرة التفاهم مع فرع نقابة المهندسين الأحرار إلى أن يعودوا إلى العمل المؤسساتي والتعامل الخطي، حيث كان يجب عليهم مراجعة المجلس والاطلاع على المعلومات والبيانات الكافية، وليس إثارة الموضوع على مواقع التواصل الاجتماعي دون دلائل».

وختم «باريش» قائلاً: «ونحن كمجلس محلي لمدينة سراقب وريفها، نرحب بالعمل المؤسساتي، والتعامل بشكل إيجابي يفيد المدينة والأهالي».

مشروع التزفييت في سراقب - زيتون

انخفاض منسوب المياه الجوفية بسبب الاستنزاف الجائر والحفر العشوائي

وسيم درويش

انتشرت ظاهرة حفر الآبار في محافظة إدلب، وبكثافة في الكثير من المناطق للحصول على المياه الضرورية للشرب والأعمال الأخرى، فبعدما كانت معاملة حفر البئر تكلف أموالاً طائلةً أصبح بإمكان أي شخص لديه مؤهلات من أرض وقليل من الأموال أن يحفر بئراً، خصوصاً مع غياب تعقيدات المعاملة.

تبلغ مساحة محافظة إدلب الإجمالية حوالي / 609710 / هكتار. وتقع 74 % منها ضمن منطقة الاستقرار الأولى التي يتجاوز معدل أمطارها السنوي 500 ملم / سنة. وتعتبر المحافظة من المحافظات الغنية بمياهها السطحية والجوفية التي تنتهي لحوض العاصي، ويخترق أراضيها نهر العاصي (الذي يعد بالمرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد نهر الفرات) من طرفها الغربي بواد ضيق، وعميق شديد الانحدار حيث يلتقي في جنوب قرية جسر الحديد بمياه رافده النهر الأبيض الهابط عبر هضبة القصير مجتمعة مع مياه نهر البوارة الذي يستمد مياهه من هضبة القصير.

الصهاريج الجوالة مصدر رئيسي

ولكن غنى إدلب بمياهها لم يقيها شرّ العطش، ولم يقِ أهلها عذاب انتظار المياه لساعات وساعات لقضاء حاجاتهم؛ لدرجة جعلتهم يتناوبون على انتظار الماء لملئ خزاناتهم، ومع اشتداد حدة الصراع خرجت معظم محطات المياه في ادلب عن الخدمة نتيجة انقطاع الكهرباء عن كامل المحافظة والذي يعتمد عليها في استخراج المياه من الآبار وضخها لتصل لمنازل الناس. فلجئ الأهالي إلى شراء الماء من الصهاريج الجوالة التي أصبحت مصدر أساسي يرتكز عليها في تأمين مياه الشرب.

كما قام بعض سكان ريف ادلب بحفر آبار في منازلهم لاستخراج الماء الصالح للشرب منها وبعضهم أصبح يستثمرها من خلال بيع المياه للصهاريج التي تقوم بدورها بتوزيعها للأهالي. وتتم عملية الحفر بشكل عشوائي وباستنزاف جائر للمياه الجوفية ما يؤثر على المخزون الجوفي من المياه.

يقول المهندس الزراعي صبحي الحسن، لـ زيتون «حفر البئر الواحدة يختلف في فترته الزمنية من منطقة لأخرى وبشكل عام يتم حفر المتر الواحد بمبلغ يتراوح ما بين 800 – 1200 ليرة سورية وفي حال كانت المسافة المطلوب حفرها 100م لاستخراج المياه فان الكلفة للحفر هي ما يقارب مليون ليرة سورية، وهو مبلغ بسيط مقارنة بأسعار الدولار والدخل الجديد لبعض الأهالي، فيما يحتاج البئر ايضا وحسب طبيعة المنطقة حيث أنها ان كانت ترابية فهي تحتاج لقميص من الستنليس ستيل ويحتاج إلى غطاس ينزل إلى أسفل البئر ليسحب المياه وفي ظل انقطاع الكهرباء فقد يحتاج من سوف يستمر بئره لأغراض تجارية إلى مولدة ذات استطاعة كبيرة هذا فان كلفة حفر البئر واستخراجه قد تصل لمبلغ 1.5 مليون ليرة سورية أي ما يعادل 3000 دولار».

أبو جميل، من أهالي ريف سراقب قال لـ زيتون «نظراً لانخفاض تكلفة حفر الآبار في بلدتي مقارنة بباقي المناطق قمت بحفر بئر في منزلي لتأمين الماء، لا تتجاوز تكلفة الحفر عندنا 100 ألف ليرة سورية (250 دولار) والسبب هو أن الماء ينبع من مسافات قريبة مقارنة ببعض المناطق الأخرى، تتضاعف التكلفة لتصل لما يقارب 2 مليون ليرة سورية بسبب عمق المياه في باطن الأرض ناهيك عن تكاليف تجهيزه المرتفعة ايضاً وهو البئر الجوفي».

ويضيف أبو جميل: لا يحتاج تعبئة خزان البيت من البئر تكلفة كبيرة لتر واحد من (المازوت) كفيل بتشغيل مولدة كهربائية لتعبئة أكثر من 1000 لتر من الماء بتكلفة لا تتجاوز 250 ليرة سورية ما يوفر مبالغ كبيرة لتأمين المياه للبيت بدلا من طلبها من الصهاريج التي قد يصل ثمنها في بعض الأحيان إلى 3000 ليرة سورية.

خطورة بيئية

فريد من بلدة حاس، لا يعلم أنّ في حفر الآبار بشكل عشوائي خطورةً بيئية: وهل هناك أخطار لا أعتقد ذلك! فما أستخرجه من بئري تعيده مياه الأمطار في الشتاء.

أحمد، والذي حفر بئرين في أراضيه يقول لقد حفرتهما في أرضي وأملاكي ولم أؤذي أحد فهل أنا مخالف.

ولأبو وحيد من كفرنبل رؤيته الخاصة، وهو من موظفي الصحة سابقاً: لا أعتقد بأن جميع الناس يمكنهم حفر الآبار بسبب العمق في بعض المناطق ما يجعله يتطلب كلفة كبيرة لاستخراجه اضافة إلى أن مياه بعض الآبار غير صالحة للشرب ولا تستخدم الا في ري الأراضي الزراعية، فالماء الذي يحصل عليه الأهالي غير معقم بمادة الكلور الضرورية لتلافي انتشار الأمراض.

ويقول المهندس سامي محمود مدير وحدة مياه جبل الزاوية سابقاً:

إن خطورة الاستنزاف الجائر للمياه الجوفية في منطقتي حارم وجسر الشغور والريف الجنوبي بشكل عام تتمثل في الانخفاض المستمر في مناسيب مياه الآبار بمعدل يتراوح بين (1. 5,3) أمتار في السنة بينما يصل إلى (3,6) أمتار في السنة في بعض المناطق الغربية من سهل الروج، وقد تم في منطقة حارم وجسر الشغور وريف ادلب الجنوبي ومعظم المناطق حفر مئات الآبار المخالفة في الآونة الأخيرة واستغل المخالفون الأوضاع التي تمر بها سورية عامة وإدلب خاصة، حيث كان عدد الآبار عام 1997 / 6931 / بئراً منهم / 1124 / غير مرخص، ارتفع هذا العدد في عام 2012 ليصل إلى / 12041 / بئراً منهم / 2989 / غير مرخص،

فيما ارتفع إلى أضعاف هذا العدد في السنوات القليلة الماضية، حيث لم يعد هناك إحصائيات دقيقة

أدت هذه الزيادة الكبيرة في عدد الآبار (لاسيما الآبار الإرتوازية العميقة) إلى استنزاف المياه الجوفية في محافظة إدلب الأمر الذي أدى إلى جفاف العديد من الينابيع المتفجرة وإلى انخفاض خطير في مستويات المياه الجوفية، تبعه انخفاض في مستويات المياه السطحية.

وتبرز مسألة ترشيد استهلاك المياه بين الناس وخصوصاً بعد ازدياد ظاهرة حفر الآبار بشكل عشوائي والذي يؤثر سلباً على مخزون المياه في باطن الأرض.

وتبرز أهمية تفعيل التشريعات الخاصة بتنظيم عملية الحفر للآبار وإيقاف الحفر العشوائي وتحديد الأعماق التي يجب حفرها وبما يتناسب مع كل منطقة وتحسين ورفع كفاءة عملية الري من خلال تحديد المقننات المائية للمحاصيل وضبط نظام الري وفقها وجدولة مواعيد وكميات الري.

ونشر الوعي المائي بين المزارعين وتنبيههم إلى خطورة الوضع المائي مع إرشادهم بمميزات أنظمة الري الحديث وتفعيل دور الإرشاد الزراعي والإرشاد المائي عبر وسائل الإعلام المتوفرة وإجراء الدراسات والبحوث لإيجاد أصناف زراعية ذات احتياجات منخفضة من المياه لمختلف المحاصيل الزراعية وتعميمها على المناطق واختيار أنواع متحملة للأملاح لاستغلال المخزون المائي في ظل غياب منظومة رقابية وتنفيذية لإدارة قطاع المياه في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام.

عاشت الملكة وترجل الفارس «فارس محمد علي»

«ليست ابنته ولايعرفها حتى، انقذها من تحت الأنقاض ودميتها بيديها واحتضنها كابنته.. عاشت الملكة.. واليوم ترجل الفارس.. مات منقذها بعد غيبوبة طويلة نتيجة قصف النظام لطاقم الدفاع المدني في حريتان اثناء عملهم» هذا ما قالته صفحة مديرية الدفاع المدني في محافظة حلب على الفيس بوك.

تحرير زيتون

في 25 /5/ 2016 قام فريق الدفاع المدني بمحافظة حلب بانقاذ طفلين من تحت انقاض منزلهما المهدم بفعل الطيران الحربي في مدينة حريتان.

فارس محمد علي هو رجل الدفاع المدني الذي اخرج الطفلة حاملة دميتها من تحت الانقاض، لم يتمالك الرجل نفسه وبكى فرحاً بخروجها سالمة، وبرغم ان الطفلة ليست ابنته الا ان رد فعله كانت ردة فعل اب.

في 2016/6/12 تعرض فارس الى إصابة بأحد صواريخ الطيران أثناء أدائه لواجبه بإخماد الحرائق، دخل على آثرها في غيبوبة طويلة بلغت 20 يوماً، ليفارق الحياة في 2016/7/3.

في كلمته أمام أصدقاء سوريا بخصوص البراميل المتفجرة وأزمة النزوح السوري على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٢٠١٥/٩/٢٨ رائد الصالح مدير الدفاع المدني السوري قال: «إنني هنا أمثل الدفاع المدني السوري أو أصحاب الخوذ البيضاء في سوريا، المنظمة التي تضم أكثر من ٢٧٠٠ متطوعا يعملون في مائة وعشرة مراكز على امتداد ثمانية محافظات سورية من الجنوب للشمال، يعملون بحيادية وإنسانية وعدم تمييز. وهي المنظمة المدنية الأكبر التي نشأت وتعمل على الأرض السورية بشكل أساسي لغرض الاستجابة للهجمات العشوائية على المدنيين وبخاصة البراميل المتفجرة من خلال عمليات البحث والإنقاذ والإطفاء والإخلاء التي ننفذها يوميا، وقد تمكنا حتى الآن من إنقاذ حياة أكثر من ٢٥,٠٠٠ إنسان من تحت الأنقاض.

لست هنا لأطالب بالمساعدة لتمكين فرقنا من تنفيذ المزيد من عمليات البحث والإنقاذ، بل إنني أحمل لكم رسالة من جميع متطوعينا تقول لكم بأننا مع إيماننا بواجبنا تجاه شعبنا ووطنا إلا أننا نريد منكم أن تساعدونا على وقف عملنا فورا.

لقد تعبنا من جمع أشلاء أهلنا كل يوم وإثر كل غارة، قلوبنا تنفطر مع سماع دوي الحوامات التي تحمل الموت، ودموعنا تنهمر ونحن نشغل صفارات الإنذار التي تنشر الهلع بين أهلنا، ونحن نسأل أنفسنا ونحن نبحث عن البشر تحت الأنقاض متى سنتوقف؟ متى ستنتهي الحاجة لعملياتنا؟ متى سيتوقف الموت؟ متى سيكترث العالم لأنيننا؟ دفاع مدني.

وفوق ذلك كله، فمن لايموت بالبراميل المتفجرة في سوريا قد يموت غرقا أو جوعا في طريق هربه من هذا الجحيم. على مدى السنتين الماضيتين، لقى ١٠٦ عناصر من متطوعي الخوذ البيضاء مصرعهم أثناء تأديتهم لعملهم، منهم ١٠٥ قتلوا على يد نظام الأسد غالبا بسبب الغارات المزدوجة التي يعتمدها النظام تكتيكا مقصودا لاستهداف نفس المكان بعد دقائق من الغارة الأولى بهدف ضرب أكبر عدد ممكن من المدنيين وعناصر فرق الإسعاف الذين يتجمعون للإنقاذ وتقديم المساعدة بعد الضربة الأولى.

عدا عن ذلك فإن كثيرا من مراكزنا وسيارات الإسعاف والإطفاء التي نستخدمها تتعرض للاستهداف المتعمد والتدمير جزئيا أو كليا. البارحة فقط أغارت طائرات نظام الأسد على مركز حيش في ريف إدلب وهذه صور المركز بعد تدميره.

يذكر أن الطائرات الحربية الروسية والسورية استهدفت على مدى السنوات الماضية أغلب مراكز الدفاع المدني في المناطق المحررة لم يكن اخرها استهداف مركز الدفاع المدني في بلدة الأتارب وقضاء خمسة عناصر نحبهم فيه، كما استهدفت في اليومين السابقين مركز الدفاع المدني في بلدة سراقب وكفرتخاريم.

تزوجت بقرار أبيها وتطلقت بقرار أبيه

غالباً ما تجد المرأة نفسها ضحية في مجتمع يمارس عليها البعض فيه خرافاته وقيمه البالية, فتصبح هي الخاسرة الوحيدة, وبالرغم كونها ضحية إلا أنها ترجم بحجارة الازدراء ويتم معاملتها على أنها نشاز, وغير جديرة بالحياة, بسبب الصفات التي تتبع اسمها سواء كانت عانساً أو مطلقة أو حتى أرملة, وتتوالى فصول القهر في قصص النساء, لا سيما بعدما تزايدت الأوضاع سوءاً في سوريا.

غادة باكير

يروي الكاتب الأمريكي هنري ميللر خوف طفلته حين رأته أثناء محاولته زيارتها بعد ست سنوات من فراقها بقوله:
شققت طريقي عبر الناس وخرجت صعدت الدرج جريا بأقصى ما بوسعي ورحت أمشي كالمجنون، بدا المطر يهطل أخذت أمشي تحت المطر مطأطأ الرأس، أضحك وأبكي أصطدم بالناس، دفعني أحدهم دفعة جعلتني أدور في مكاني وأقع لم أتطلع حولي تابعت سيري مطأطأ الرأس وحبات المطر تتساقط على ظهري، أردت أن يبللني المطر أردت أن أتطهر من جميع خطاياي نعم هكذا قلت في نفسي أتطهر من جميع خطاياي، أردت أن يبللني المطر حتى العظام ثم أطعن ثم يقذف بي في المجاري ثم تدهسني شاحنة ثقيلة، أن أمرغ في الأوساخ، أن أمحى، أن أباد الى الأبد.

مها ذات الأربعة والعشرون عاماً, والتي تمنحك إحساساً بأنها تبلغ قرن من القهر والحزن والضياع، ابنة الريف الحلبي تروي تجربتها لزيتون وكيف أوصلها تحكم والدها ووالد زوجها الى ما وصلت إليه.
تقول مها: «لقد دمرت حياتي حين غادرت مقاعد دراستي وأنا في الثالث الثانوي, لأجد نفسي متزوجة نزولاً عند رغبة الأهل, خوفاً من أن يفوتني قطار الزواج».
في عام 2009 تزوجت بناء على رغبة والدها من زوج لم تكن تعرفه ولم يكن في وضع مناسب للزواج، فقد كان يقضي خدمته الإلزامية، ولا يملك بيتا، فكانت إقامتها في بيت أهله، ما وضعها أمام حياة مختلفة ومسؤوليات لم تكن تفهمها كما قالت: « كنت صغيرة في السن ولم أفهم ما معنى الزواج، وكيف تتحول الحياة إلى شكل مختلف عما كانت عليه عند الأهل».
بعد عامين رزقت مها بطفلتها لتحرم منها خمس سنين، بعد خلاف وقع بينها وبين والد زوجها لأسباب تافهة تدور حول زيارة أهلي أثناء غياب زوجها وتعاملها مع طفلتها.
« لأنه لم يراع صغر سني وعدم خبرتي، لا أعرف اليوم كيف هو شكل ابنتي، أو مكان إقامتها, أو الظروف التي تمر بها, هل هي سعيدة في طفولتها؟ هل تفكر في أم لم ترها؟».
وعند عودة الزوج في إجازته للمنزل، اجبره والده على طلاق مها ولم تتجاوز الطفلة السبعة شهور، لتعود مها في عام 2011 الى منزل أهلها تجر ذل الخيبة والفشل بلا طفلتها وبصفة جديدة «مطلقة»:

« وكل يوم يمر علي أقسى من الموت, فقد كنت أشتاق لرائحتها, ولضمها لصدري, ولإرضاعها, ولكني لم أكن أجرؤ على رؤيتها بسبب رفض والدي لذلك الأمر».
بعد خمس سنوات كانت المرة الأولى التي رأت فيها ابنتها في روضة قريبة من منزل أهلها، حين تسللت بدون علم أبيها لتحاول ضم طفلتها التي خافت وهربت منها باكية، بسبب عدم معرفتها بها.
«تمنيت لو أنني مت قبل ذلك الموقف، تأسفت على حياتي وعلى حياة طفلتي، كرهت التقاليد والأعراف وإجبار المرأة على الزواج وعلى الطلاق، أي قسوة أن تمنع الأم من طفلتها أو تحرم الطفلة من أمها».

وتكبر الطفلة بعيدا عن أمها، وتأتي الثورة لتزيد المسافة بينهما، وليرسخ النزوح قلق الأم ويمعن في ألمها، فقد نزح الزوج مع الطفلة الى ريف ادلب بعد اشتداد القصف على البلدة.
كانت تعزي نفسها بقرب ابنتها منها، وتحاول أن تستقصي أخبار طفلتها، حين كانت في ذات البلدة، لكن النزوح حرمها حتى من هذا العزاء، بعدما فقدت كل خبر عنها، ولم تعد تعرف بأي مكان هي أو ما حل بها.
«لقد أصبح عمرها سبعة أعوام, وهي لا تعرفني مطلقاً, ربما لو صادفتني يوماً ما فإنها ستهرب ثانية مني, فهي لم تكبر بالقرب مني كغيرها من الأطفال, وإن خافت مني فسوف اعذرها ولن ألومها, فكيف ستحب أماً لم تحتضنها في صغرها؟»

مها التي تعيش اليوم في منزل والدها، بعيدة عن طفلتها، ليس لديها شهادة لتعمل بها، تحيا على هامش الحياة بلا أي إحساس بانسانيتها أو حتى بوجودها.
تنهي مها قصتها وهي تفكر في طفلتها ومن ثم بنفسها: «لن تقتنع أنني كنت أموت في كل لحظة مئة مرة, بسبب بعدها عني وشوقي لها.. كان زواجي بقرار من والدي, وكان طلاقي بقرار من والده, ومابين قرارهما, كنت أنا وابنتي الضحية».

يوم الأم في سوريا مناسبة لفتح الجراح

تتداخل الإيقاعات فيه ببعضها، إيقاع الموسيقى بإيقاع القلب، حتى بإيقاع خطوات من نحب، تشكل في النهاية سيمفونية فريدة وخاصة، تظل تعزف في رؤوسنا ليل نهار، حتى حينما يكون الفراق، فهذه المقطوعة الموسيقية لا تتوقف عن العزف، لكنها تأخذ مخارج صوتية حادة، وكأنها تعزف على أعصابنا بحد السكين، ففراقه لن يكون سهلاً، وخصوصاً لمن يعطي للأشياء قيمتها، وقفت أحلام الأمهات على باب العيد دون أن يحمل لهن هدايا غير لوعة الفراق، وبعض الخوف والمرض.

أم من بلدة حاس على باب بيتها

وضحة عثمان

أم عمر ذرفت الدموع خشية الاحتضار والموت قبل معانقة وحيدها، تذكرته حين كان يفاجئها في مثل هذا اليوم بقالب الحلويات عليه اسمها، وبيده الأخرى بعض الورود التي تحبها، تقول: «الآن لا هذا ولا ذاك، بعد أن كان يزين عيدي بذراعيه اللتين تحيطان بي».

جل الأمهات يعشن على أمل اللقاء بأبنائهن، هناك أخريات يعشن على النكران، ولا يصدقن فقدان الأبناء، فيتمنين أن يعود شخص "ميت" إلى الحياة، بل وينتظرن المعايدة، والكثيرات منهن لم يأخذن مساحة كافية للتأقلم بعد، على الوضع المؤلم الجديد.

لاجئة سورية تعدت السبعين عاماً، جدران غرفتها متشقّقة ومليئة بالرطوبة زينتها بصورة كبيرة لزوجها وأبنائها تتوشّح بشريط أسود، كدليل على الفراق، تقول أيضاً "أتمنى أن يعود الشهداء ويعايدونني كما كانوا يفعلون، ويرجع الزمان إلى الوراء لأكون بصحبة أبنائي الخمسة وزوجي، وهم جميعاً استشهدوا في سوريا".

وكانت قد لجأت إلى تركيا مع أختها منذ أربعة أعوام، ولم يعد لها أحد ليعيش معها بقية عمرها وتتكئ عليه، وغدت أيامها تتحسر على فقدان عائلتها قبل رحيلها.

أم أحمد من منطقة القصير في مدينة حمص تؤكد أن أجمل هدية لها في عيد الأم هي أن تعود لمدينتها، لا لشيء، إلا لكي تضع الورود على قبر أولادها الثلاثة الذين بلغها نبأ استشهادهم منذ شهور قليلة، أم أحمد تنفي أن يكون هنالك عيداً للأم في سوريا، تتساءل بأسى:

«لمَ الاحتفال ولمَ العيد ويومياً يموت الآلاف، شو بقي عنا لنعيش؟ كل شيء بنيناه تهدم، راح البيت وحتى الوطن تقسّم»، وتمضي بحرقة:

"كيف يكون عيداً والأم السورية مشرّدة في دول عدة ومئات الآلاف من الأمهات يقضين ساعات طويلة وهن يحتضن صور أبنائهن الراحلين، يستحضرن ذكريات معهم».

تصنع أم أحمد المفروشات القطنية مطرز عليها: «يخليلي ياكي يا ست الحبايب".

قالت حين سألتها إن كانت قد أهدت أمها مفروشاتها:

«ماتت أمي أمامي، دون أن يستطيع أحدٌ إنقاذها، وما زال مشهد جسدها الغارق بالدماء يعذبني، لم أستطع أن أغطيها، فصنعت تلك المفروشات لكي تكون غطاء لكل أم».

خالد الذي يقاتل في إحدى الفصائل يقول لزيتون عن عيد الأم: «الأم هي العيد في كل يوم، ليس من عادتي أن أكتب لأمي رسالة في عيدها لاعتقادي أن كل يوم هو يوم عيد لها، ولكن أحببت أن أكتب ما يدور في خاطري لكل أم في هذا العالم الذي تخلى عن انسانيته».

وهكذا يمر عيد الأم على الأمهات السوريات كما هو في الأعوام التي مرت منذ بدء الثورة، أمهات أبناؤهن في المعتقلات لا يعلمن أهم أحياء أم أموات، وأمهات أبناؤهن في القبور، وأمهات أبناؤهن في أي لحظة قد يكونون تحت الأنقاض، وأمهات أبناؤهن كل في بلد، ولا سبيل لهن باللقاء أو الاحتفال.. فبأي حال عدت يا عيد.

في عيدها

إياد الحسن

ما يعنيها أكثر من كلّ هذه الهيصة الدائرة حولها هو عودتها إلى بدء الكينونة الأولى، فها هي تغافل حاضرها وتسرق برهة من زمنها المهدور على أرصفة آلام الشرق لتوحّد وجد وجدانها في طقس صوفيّ مع صغير تهدهد سريره على سريرتها، وكأن حبل سرّته مازال عالقاً بها، تنفث خلاصة همّها غناءً بصوت أنثويّ محمّل بعبق عصور مجدها، شاكيةً من شرقٍ محرقةُ استبداده تلفح الجميع نوعاً وجنساً.

بظلمها وقهرها وتناسبه طرديّاً مع التصنيفات التراتبيّة التي تفرّخها حظائر الاستبداد، فالمرتبة الاجتماعيّة هنا منوطة ببعد مأسويّ وقهريّ، ولذلك تعاني الشرائح الاجتماعيّة الأدنى – حسب تصنيف هذه المجتمعات – الحجم الأكبر من الاضطهاد والتعسّف.

ولأنّ هذه التجمّعات ما أنجزت مشروعها الحضاريّ بعد، وظلّ الاستبداد وما يرتبط به عضويّاً من مخلّفاته المتخلّفات على كافّة الصعد، وأهمّها اتساع هوّة التمييز وعدم المساواة بين رجل سلبه الظلم والاستبداد رجولته التي يفاخر بها، ومنعه الخوف والقمع ممارسة إنسانيّته، وبين امرأة حمّلها قهرها التاريخيّ منذ آلاف السنين باعتبارها الطرف الذي تقع عليه كلّ أنواع الحيف.

وهذا البسيط بوعيه وثقافته الذي تجترّه قواطع الاستبداد وتجعل منه كائناً عصبيّاً وعِصابيّاً لا يستطيع أن يصرخ في وجه ظالمه ولا يبقى أمامه من خيار إلّا أن يقذف ما أثقل به كاهله من توتّرات وخيبات على الأضعف في سلّم الترتيب الاجتماعيّ لمجتمع الذكور.

وهكذا تقع المرأة تحت حيفان: حيف الرجل "أب وأخ وزوج"، وحيف مجتمعها الذي جأر بجوره عليها تاريخيّاً معتبراً إياها الجنس الأنى.

ومهما تشدّقت وادّعت مجتمعات الاستبداد بشتّى أشكالها وأيّاً كان لون الثوب الذي ترتديه بشعارات فارغة من مثل (تحرّر المرأة ومساواتها بالرجل) تبقى شعارات كلاميّة فارغة من أيّ محتوى، ككلّ شعارات الاستبداد والتي لا تصلح حتّى للاستهلاك المحلي، وكلّ المنظّمات التي تفرّخها هذه المجتمعات من مثل (الاتّحاد النسائيّ) وأيّ تجمّعات نسويّة أخرى ما هي إلّا مجرّد تشكيلات مبتذلة غايتها تخدير المرأة وتغييب الوجع الحقيقي.

ففي مجتمع مازال الرجل فيه مقموعاً ومستعبداً لمِنَ السماجة أن يتمّ الحديث عن تحرّر المرأة، فالحريّة والتحرّر كلّا لا يتجزّأ.

وجدت المرأة المشرقيّة ومعها السورية فيما عُرف بثورات الربيع العربيّ فرصتها، وخاصّة في المناطق الريفيّة والضاغطة بشكل أكبر على حريّتها لتغادر قوقعتها وتصرخ في وجه المستبدّ، مطالبة بحريّتها، نزلت إلى الشارع مع الرجل، هتفت للحريّة،

لم يكن يعنيها كثيراً أن تكون الحشود نسويّة فقط، أو أن تسير خلف الرجال وتردّد وراءهم هتافاتهم، كان يعنيها فقط الخروج من سُباتها، يعنيها أن تكون هناك في الشارع حيث الرجال يهتفون للحريّة، يعنيها أن تصرخ، أن تشكو همّها وهي تدرك بحدسها الأنثويّ أنّ إسقاط رموز الاستبداد في مجتمع ما، يعني إسقاط المنظومة القيميّة بشكل عامّ.

هناك في الشارع حيث الرجال يهتفون للحريّة، يعنيها أن تصرخ، أن تشكو همّها وهي تدرك بحدسها الأنثويّ أنّ إسقاط رموز الاستبداد في مجتمع ما، يعني إسقاط المنظومة القيميّة بشكل عامّ.

زغردت لرفع الظلم

هو الخطوة الأولى في طريق تحرّرها وخلاصها بحدسها الأنثويّ الهادئ المتأمّل، كانت تهتف لحريّتها وتصرخ في وجه مجتمع أبويّ (بطرياركي) ظالم.

واكبت المرأة كلّ حيثيّات الثورة، فكانت اليد الناعمة التي تسعف الجرحى والصوت الأنيق الذي ينقل أخبار الحراك الثوريّ، وناشطة في مجال الإغاثة وأجمل الأمهات وهي تشدّ من همّة أبنائها ويأكلها الضجر في ليلها ف (تغمض عين لتصحو عين) وكثيراً ما (عاد أحد أبنائها مستشهداً فبكت دمعتين ووردة ولم تنزوِ في ثياب الحداد) ولم يتوانَ الطاغية وعصابته عن اعتقالها وتغييبها في عتمة زنازينه والتنكيل بها على كافّة المستويات.

هي امرأة فقدت أبناءها، وقد يكون زوجها وبقيّة تكابد ألم النزوح ومرارة المخيّم مع من تبقّى من الأهل والعائلة، وعندما تأسلمت الثورة، هُمّشت المرأة وأقصيت تحت ذرائع مختلفة.

أمام هذا الوضع انكفأت وتراجع دورها ولو إلى حين، فهي مدركة للحقيقة التي لا تغيب عن بال إلّا من عميت بصيرته، أنّه في القرن الواحد والعشرين لا يمكن أن تصل أيّ ثورة إلى مبتغاها بتحرير الإنسان إلّا بمشاركة كلّ الإنسان – رجل كان أو امرأة – وإذا كان ثمّة حقيقة مؤكّدة للجميع، وهي أنّ سورية ما بعد الثورة لن تكون هي سورية ما قبل الثورة، بكلّ المعاني فإنّ المرأة السوريّة لا يمكن أن تستثنى من هذه الحقيقة، ولن تكون هي المرأة ما قبل الثورة.

تحية إلى المرأة في عيدها، تحية لكلّ أمّ سوريّة فقدت زوجها أو من أنجبت، وأيّا من غواليها. تحية إلى كلّ امرأة تكابد آلام النزوح في المخيّمات، تحية إلى كل امرأة سورية أينما كانت والحرية لرزان وسميرة وكلّ المعتقلات في سجون الطغاة.

عندما تحولت المدارس إلى مقابر

فقدت أصدقائي وكتبي ومعلمتي ومدرستي.. ماتت الطفولة ومات كل شيء في هذه المجزرة.. أصوات الانفجارات ومشهد الدمار والدماء لا تفارق مخيلتي.. أشلاء هنا وقطع هناك وكتب ملقاة.. دماء وأشلاء في كل مكان.. على مقاعد الدراسة وفي الصفوف وفي الباحة.. أخي .. ابن عمتي.. أحمد.. حسني.. لؤي.. يا رب أنا ابن شهيد ووحيد لأمي، أنقذني من أجل والدتي.. لن نسمح لطائرات الأسد وشريكه المجرم بوتين بأن تقضي على أحلامنا ومستقبلنا.. سيصبح منا أطباء ليداووا جراحنا العميقة.. وسيكون هناك مهندسين ليعيدوا بناء ما دمرته طائراتهم.. كنا شرارة الثورة وسنبقى شعلتها المتوقدة ولهذا تقتلنا طائراتهم.. هكذا عبّر أطفال حاس عن ردود أفعالهم تجاه العمل الإرهابي الذي استهدف مجمع حاس التربوي في 26 تشرين الثاني، وأسفر عن ارتقاء نحو 40 شهيداً جلّهم من الأطفال.

محمد أبو الجود

«لؤي محمد الأعرج» طالب في الصف الخامس في مدرسة حاس، وأحد الناجين من المجزرة، قال لـ «زيتون»: «لاتزال أصوات الانفجارات تدوّي في رأسي، ومشهد الدمار والدماء لا يفارقان مخيلتي، وكأنه يتكرّر في كل لحظة، فقدت أصدقائي.. وكتبي.. ومدرستي التي أحبّها.

يجهش لؤي بالبكاء، مضيفاً: « لا يمكنني وصف ما حدث في تلك اللحظة، حالة من الرعب والهلع طغت على كل جوارحي، أرى تدافع الطلاب، وهروب بعضهم نحو الحياة، واختباء البعض الآخر تحت مقاعد الدراسة التي امتلأت لاحقاً بالدماء، وتناثرت فوقها الأشلاء، حين سقوط الصاروخ الثاني، بينما أصبح همي الوحيد أخي حسني، طالب الصفّ الأول، في مشهد لن يُمسح من مخيلتي طالما أنا على قيد الحياة، كيف بدأت بالبحث عنه في أرجاء المدرسة، والطائرات ماتزال تلقي بالصواريخ فوقنا، وكيف كاد قلبي ينفطر إلى أن وجدته مختبئاً تحت المقعد في صفه، أمسكت بيده وبدأنا بالجري، خرجنا المدرسة والتجأنا إلى أحد المنازل المجاورة لها، إلى أن سمعنا صوت جدي ينادي حسني.. لؤي.. حسني.. لؤي..، عندها فقط امتلكنا شيئاً من القوة، ولا ندري كيف خرجنا مسرعين نحوه، وأصوات بكائنا تملؤ المكان، وتمتزج مع أصوات القصف، وما إن خرجنا من المنزل حتى سقط صاروخ جديد على بعد 100 مترٍ منا.

لم نكن نعلم هل هو وجود جدي ما أعطانا القوة لنجري نحو جدي بسرعةٍ أكبر؟ أم هو الخوف والحرص على الحياة؟ أم هو ما رأيناه من أهوال القصف ومخلفاته؟؟.

أشلاء هنا وقطع هناك وبقايا كتب وحقائب وأدوات زملائنا، وجثث بعضهم المتناثرة على الطرقات، كانت رائحة الموت تملأ المكان، إلى أن وصلنا إلى أمي التي بدأت بالبكاء لحظة وصولنا، خوفاً وفرحاً معاً.

يتابع «لؤي»: «في تلك اللحظة فقط قررت ألّا أعود ثانيةً إلى المدرسة، ستعلّمنا أمي، ولن نعود إلى الموت المحدق بنا في كل لحظة، لن نعود إلى الموت بأرجلنا».

يا رب لا تموتني أنا ابن شهيد

«راما» طالبة في الصف السادس في مدرسة حاس، وهي أيضاً واحدة من بين طلاب وطالبات المدرسة الناجين من المجزرة، قالت لـ «زيتون»: «فوضى.. خوف.. رعب.. بكاء.. دماء.. ودمار، لا أعرف ماذا جرى، مع سقوط الصاروخ الرابع، بدأنا بالبكاء والصراخ، توقفت الحياة أمامي، لم أتذكر في تلك اللحظة سوى «أحمد» ابن عمتي، طالب بالصف الأول، أكثر ما كان يقلقني ويثير انتباهي هو العثور عليه وإخراجه من المدرسة هو ابن شهيد ولا يعرف الرجوع إلى المنزل وحده، وجدته أمامي بعد بحثٍ مرير عنه، وجدته يركض وهو يبكي حضنته وبدأنا بالهروب معاً.

كان أحمد يبكي ويقول: «يا رب.. لا تموّتني.. انا ابن شهيد، أنا وحيد لأمي، أنقذني من أجلها»، مع تلك الأصوات التي تملأ المكان رعباً وخوفاً، صوته الجهوري الحنون الممتلئ برضا الله، أعطاني القوة، أعطاني الإصرار، أمسكت يد أحمد وجرينا حتى وصلنا إلى باب المدرسة، لانعرف أين نذهب، بدأنا بالركض مجدداً، وكانت المفاجأة الصادمة والتي أحسست قلبي توقف عندها من قساوة المنظر، عندما رأيتها لا أعرف بماذا أحسست وكأن كهرباء صعقت جسمي بالكامل بدأت بالصراخ والبكاء الجنوني، كانت يد طالب ممسكة بحقيبته على الطريق وكدت أتعثر بها.. كتب ملقاة هنا وهناك، جثث وأشلاء، ودخان كثيف، توقفت، لا أعرف ماذا حل بصديقاتي، الطائرة مازالت تحلّق في السماء، بكاء زملائي وصراخهم جمّد تفكيري، صعدت في سيارة شخص لا أعرفه، تعلّقت بالحياة لدرجة أنني عندما شاهدته كان بمثابة طوق النجاة لي، أوصلنا إلى منزل خالي ومن ثم إلى المنزل، وهنا انتهت رحلة الهروب من الموت على أرض الواقع، لكن آثارها ومشاهدها لن تنتهي في داخلي.

صدمة الموت

«حسني حسن الأعرج» طالب في الصف الرابع، قال لـ «زيتون»: «في صباح ذلك اليوم أيقظتني والدتي باكراً، ارتديت ثياب المدرسة إلى أن جهّزت لي السندويشة التي لم أتذوّقها، وضعتها في حقيبتي وانطلقت إلى المدرسة، ونحن في الدرس الثالث، سمعنا صوت الطائرة ألقت الصاروخ الأول، وكان صوت الانفجار بعيد، بدأنا أنا وأصدقائي بالضحك الممزوج بالخوف،

وما إن سقط الصاروخ الثاني حتى شعرنا بالصدمة، صدمة الموت والخوف، ضغط كبير من آثار الصاروخ الثاني، ثبتنا في مكاننا دون حراك.

وتابع حسني بعد لحظاتٍ من الصمت التي اخترقتها دموعه وتجلّت فيها معالم الخوف والرعب في تعابير

وجهه، انطلقت باتجاه الحياة، ظلام يتخلله الموت، أشلاء ملقاة على المقاعد.. بين الصفوف.. في باحة المدرسة.. في كلّ مكان، لا أدري أين أهرب، أنظر هنا وهناك دماء وطائرة بالسماء تلقي الموت على أجسادنا الهزيلة، وصلت إلى باب المدرسة وهدفي الوصول إلى أمي التي تنتظرني في المنزل، فقدت أصدقائي، وآنستي التي كانت بمثابة الأم لنا، ماتت ومات كل شيء معها، ماتت الطفولة في هذه المجزرة، وماتت معها رغبتي بالحياة بعد كل تلك المناظر المروّعة، وكل ذنبنا أننا أطفال سوريا .

أمهات بين الركام بحثاً عن فلذات أكبادهن

بمقابل كل طفل كان يبحث عن أخيه أو صديقه، وكل طفل كان يفكر في خوف أمه عليه أو عليهم، كانت هناك أمّ انفطر قلبها، وهرعت بلا وعيٍ أو إدراكٍ نحو المدرسة لتطمئن على فلذات كبدها، ومنهن من استشهدت وهي تبحث عنهم، وقبل أن تطمئن عليهم.

«أم خالد» والدة أحد أطفال مدرسة حاس، الناجين من المجزرة، قالت لـ «زيتون»: «مع التنفيذ الأول أصبحت في منطقة وسط بين الشعور بالألم والخوف من جهة، والرغبة بالبحث عن طفلي المتواجد في منطقة القصف، وخاصة بعد أن شاهدت الدخان الأسود يخرج من منطقة المدارس، لا أعلم كيف وصلت إلى المدرسة أبحث عن ابني بطريقة جنونية، لم أعر أي اهتمام للطائرة وكل تفكيري كان منصباً على البحث عن ولدي.

تتابع أم خالد وهي تتلعثم بالحديث وكأنها تعيشه الآن ولأول مرة في هذه اللحظة: بحثت كثيراً في المرة الأولى إلى أن أتى أحد الأقرباء وأخبرني بأن طفلي أصبح في المنزل، فرحة كبيرة انتابتني عندها، وركضت مسرعة إلى المنزل، لكن صدمتي كانت حين لم أجده، وتوقف كل شيء، لا أعرف ماذا أفعل وكيف أتصرف، وإذ بي أعود إلى المدرسة مرة ثانية، وبلا أدنى وعيً أو أدراك، ولكن ليس كما في المرة السابقة بل أشد، بحثت كثيراً بين الركام.. وسط الدخان الأسود، شعرت بقوة هائلة تدفعني، لا أعرف ما هي، ذهبت إلى صفه فوجدته مختبئاً تحت المقعد، كان يبكي ويبكي، سحبته من يده وصرخت في وجهه: «أنت بأمان.. أنت بأمان»، وهنا بدأ بالبكاء حضنته وركضت مسرعة به إلى المنزل .

تُعقّب أم خالد والحزن يطغى على نبرة صوتها: «تغيّرت نفسيته، تغيّر خالد كثيراً عليّ، ومنذ ذاك اليوم وهو يخاف من كل شيء، يخاف من أي صوت، يستيقظ ليلاً وهو يصرخ بصوت عالٍ، وحتى الآن هو لا يستطيع أن يخرج حتى إلى الشارع، لقد ضعُفت شخصيته، كان قبل المجزرة يساعدني كثيراً في أمور البيت، ويريحني في عملي، أما الآن بات يخاف الخروج من المنزل».

الأطفال رجال إنقاذ غامروا بحياتهم لإنقاذ بعضهم

«محمد» 30عاماً، معلّم في مدرسة حاس، يروي لـ «زيتون» ما حدث في ذلك اليوم، يقول: «أطنان من المتفجرات تسقط على تجمع مدارس مليء بالطلاب الصغار، إجرام تعدّى الخيال والوصف، لا أدري من أين أبدأ، كان الطلاب يبكون ويستنجدون بالله ويصرخون «يا الله».. «يا الله»، يتراكضون هنا وهناك، والطائرة في السماء مازالت ترمي، لكن إنقاذ الأطفال كان أهم من حياتنا، رغم حالة الفوضى العارمة والخوف من الخطر المحدق بنا جميعاً، فلا صوت يعلو على صوت الصواريخ، بدأنا بإخراج الطلاب، ولكن!!، إلى أين نذهب بهم؟، لانعرف.. ولكننا مع ذلك نخرجهم باتجاه المجهول، ومع التنفيذ الثالث والرابع هنا كانت المجزرة الحقيقة، فالطلاب منتشرون في الشوارع يتراكضون بشكل عشوائي، وعندها سقطت المظلة، وفي هذا التنفيذ سقط العدد الأكبر من الشهداء، وانقسم الأطفال فمنهم من تحوّل إلى أشلاء، ومنهم من أصيب، ولكنّ المؤثّر أكثر من كلّ هذا، هو كيف تحوّل القسم المتبقي من الطلاب إلى «رجال إنقاذ».

يُتابع «محمد» (وشعور بالنشوة والحزن والألم والفخر ممتزجة في صوته، وبادية على وجهه، ومصحوبةً بدمعةٍ مُحتَبَسة في عينه): «بدأ الكبير منهم يحمل الصغير ويذهب به نحو الأمان»، «لقد كانوا رجالاً وأثبتوا جدارتهم ووعيهم رغم صغر سنّهم وبراءتهم».

ويضيف: «راح الكثير من الطلاب ما بين شهيد وجريح، أيضا الكادر التدريسي سقط الكثير منهم شهداء»، «لقد تغيرت حالة ومشاعر الطلاب كثيراً بعد تلك المجزرة، وأصبح الكثير منهم يعاني حالة من الخوف وفوبيا الأصوات العالية، حتى صوت الدراجة النارية بات يرعبهم، جلهم لا يستطيعون الآن الخروج من المنزل من شدة الخوف والحالة النفسية الصعبة التي يعانون منها» .

أهوال المجزرة

«حسام»، 28عاماً، شاهد على المجزرة، وأحد المتطوعين لإنقاذ الأطفال يوم مجزرة حاس، قال: إن ذلك اليوم كان أقرب إلى أن يوصف بيوم «الحشر»، أطفال صغار كانوا هدفاً لأحدث القنابل وأكثرها تدميراً، حالة من الذهول من فقدان الوعي انتابتني، 7 مظلات على تجمع مدارس، أمر لا يُصدّق .

وأضاف قائلاً: من المواقف التي أثرت بي في تلك المجزرة والتي لن أستطيع نسيانها، وخلال مساعدتي في إنقاذ الأطفال، وجدنا في الشارع جثة طفلة بدون رأس، هنا فقدت توازني ولم أعد أستطيع المحافظة على هدوء أعصابي، وبدأت بالبكاء والصراخ كالأطفال.

واستطرد «حسام» قائلاً: «أدعو الله أن يتلطّف بنا، صورة المرأة التي سقطت شهيدة هي وصهرها أثناء بحثها عن أطفالها في المدرسة، وصور أشلاء الأطفال وبكاؤهم وخوفهم..، تدافع.. جنون.. هروب نحو الحياة، لن تذهب من مخيلتي، لم نخرج من المدارس حتى خرج آخر طفل منها، شعرنا بقوة أمدّنا الله بها، كان يخيل لي عندما أحمل أي طفل وأخرجه إلى الأمان أنني أنقذ طفلي، ولكن بعد الانتهاء من عملية الإنقاذ دخلت المشفى لمدة ثلاثة أيام، جراء التعب والإرهاق والحالة النفسية الصعبة.. نحن الكبار لم نحتمل هذه المناظر فكيف بهؤلاء الأطفال الصغار التي اختبرت قواهم واحتمالهم طائرات الغدر الروسي والأسدي.

رغم الجراح.. رسالة من أطفال حاس ملؤها الأمل والإصرار

«ميس»، طالبة في الصف السادس في مدرسة حاس الابتدائية، وهي من مدينة كفرنبل، أرسلت للعالم كله عموماً وللإرهابيين «بشار» و «بوتين» تحديداً، برسالةٍ عبر «زيتون»، قالت فيها: «أطفال سوريا قُصفوا ولايزالون بأحدث الطائرات، بينما هم جالسون على مقاعد الدراسة، حتى الآن لا أُصدّق أنّه يوجد في الكون رجل له قلب، يقتل 30 طفلاً، إنه وحش وليس من جنس البشر، صور الشهداء والأشلاء المتناثرة هنا وهناك، كانت فظيعة وقاسية جداً بما لا يستطيع عقل احتمالها، لقد تأثرت كثيراً وبكيت بشدةٍ وبحرقة، ودخلت المشفى من شدّة تأثّري بيد الطالب المقطوعة الممسكة بحقيبته المدرسية، حتى في لحظاته الأخيرة لم يتخلى عنها.. نعم نحن خائفون من الطائرات، ولكننا لن نسمح لهم بأن يقضوا على أحلامنا ومستقبلنا.. وسندرس برغم كل الظروف.. وسنصبح أطباء لنداوي جراحنا العميقة، وسيُصبح منا مهندسون ليعيدوا ما دمّرته طائراتهم.. ولن تُخيفنا أو تُثنينا الطائرات والصواريخ.. نحن شرارة الثورة، نحن مَن أشعل فتيلها عبر أطفال درعا، وسنستمر على نفس الطريق حتى ننال الحرية والعلم والعُلا معاً».

قصر التصرف والموافقة الأمنية في المعاملات العقارية

يعتبر سجل قصر التصرف، أحد سجلات مكتب التوثيق العقاري، ويجب أن تمر عليه كافة معاملات نقل الملكية، ويجب أن تُشرح أية معاملة منه قبل توثيقها، وهو سجل قديم، كان معمولاً به ولا يزال في الدوائر العقارية الرسمية التابعة للنظام، كما أنه موجود حالياً في مديرية المصالح العقارية في إدلب.

وهو وجود إشارة على عقار ما لأسباب مالية أو أمنية أو قانونية، كترتّب مبالغ مالية بذمتهم وما شابهها من حجوزات للدولة، أو موانع شرعية صادرة عن القاضي الشرعي كقوامة معتوه على العقار أو حجر شرعي على المجنون، أو مذكرات حجز صادرة عن المحاكم أو الدوائر الرسمية في الدولة، ويتم رفع هذه الإشارة بمجرد تبرئة ذمة العقار.

دائرة المصالح العقارية بسراقب - زيتون

ياسمين محمد

آلية عمل شعبة قصر التصرف قبل الثورة وبعدها والغاية منها

مدير دائرة السجل العقاري في إدلب «طاهر شحادة» قال لـ «زيتون»: «سجل قصر التصرف هو سجل يتضمن أسماء أشخاص تم منعهم من التصرف بأملاكهم أو نقلها، من قبل (أفرع الهيئة المركزية للرقابة والتفتيش، والمصارف، والجهات القضائية العسكرية والمدنية، والجهاز المركزي للرقابة المالية)، والتي كانت تصدر مذكرات إدانة لأشخاص قاموا باختلاسات أو سرقات من الدوائر أو امتنعوا عن تسديد أقساط البنوك أو السُلَف من دوائرهم، إضافة لأشخاص تم منعهم من التصرف بأملاكهم لأسباب سياسية، وذلك عبر وضع إشارة حجز احتياطي أو تنفيذي على أملاكهم وتسجيلها في سجلا ت القصر».

وأضاف: «تم إنشاؤه بسبب كثرة أسماء الأشخاص الممنوعين من التصرف في زمن النظام، ومهمة هذا السجل هي الحفاظ على حقوق الدولة وليس على حقوق النظام، لأن الأموال المختلسة أو قرارات الأحكام التي صدرت عن المحاكم الجنائية والشرعية هي حقوق تمس أشخاص ومواطنين ومنع المختلسين من التصرف بما اختلسوه».

يقوم مكتب قصر التصرّف حالياً بالتعاون مع مكتب التوثيق العقاري المتواجدَين في مديرية المصالح العقارية في مدينة إدلب، بتدوين أسماء الأشخاص الممنوعين من التصرف بأملاكهم من قبل المحاكم، وعند قيام الشخص بتقديم معاملته يقوم مكتب قصر التصرف بالشرح عليها بناء على المذكرات والتعاميم المتعلقة بالحجوزات والإشارات وما إلى ذلك، والمدونة في سجلات القصر».

إلى أن خطوة إيجابية تمت بعد تفعيل عمل مديرية المصالح العقارية في إدلب بعد تحريرها، حيث يقوم مكتب قصر التصرف بإزالة إشارات الحجز المتعلقة بأسباب سياسية فقط، وترقينها وشطبها من السجلات، وذلك بعد أن يتم تقديم طلب وأدلة تثبت أن الإشارة الموضوعة، مبنية على أسباب سياسية فقط لا غير، كما هو الحال لدى معارضي نظام الأسد سابقاً، وما شابهها من موانع سياسية كانت في السابق تحول دون تصرّف المواطن بأملاكه الشخصية، أما باقي الحجوز لم يتم إلغاؤها، ويمكن نقل الملكية مع قبول المشتري بالإشارة على العقار أو الأملاك، وذلك على أمل قيام دولة وحكومة في المستقبل والمطالبة برفعها بحسب مدير دائرة السجل العقاري بإدلب.

العلاقة بين قصر التصرف والموافقة الأمنية

هناك ما يسمى الموافقة الأمنية التي باتت مطلوبة لكافة المعاملات العقارية، والتي اتفّقت على إيجادها كافة الفصائل العسكرية في المحافظة، بهدف منع الأشخاص المطلوبين من التصرف بأملاكهم.

وحول الموافقة الأمنية، قال «شحادة»: «بعد التحرير قامت الجهات الأمنية في فصائل المعارضة بوضع أسماء جديدة ممنوعة من التصرف لم ترد في التعاميم والبلاغات الحكومية، لكن أصحاب هذه الأسماء كانوا قد وقفوا ضد الثورة وقاموا بالتشبيح وسرقة المواطنين، وعليه نقوم بالطلب من المواطن صاحب المعاملة بجلب موافقة أمنية من هذه الفصائل أو الجهة الأمنية، وهي موجودة في كل منطقة وتقوم اللجنة بالشرح على المعاملة إن كان الشخص ممنوعاً من التصرف أم لا، فالموافقة الأمنية متممة لبرنامج قصر التصرف».

موضحاً أن هذا الإجراء مطلوب فقط في معاملات نقل الملكية وهي المعاملات المنشئة للحق وليست الكاشفة، فالمنشئة تستوجب الموافقة الأمنية، بينما الكاشفة لا تستوجب.

وأضاف: «منذ فترة قريبة قام النظام بتبني الفكرة تقليداً لنا، وبدأ بطلب موافقات أمنية على كل الوكالات بالعدل أو بنقل ملكية من مناطقه حتى يحصل المواطن على موافقة أمنية».

دائرة المصالح العقارية في سراقب والموافقة الأمنية

من المعروف أن دائرة المصالح العقارية في مدينة سراقب بريف إدلب، منفصلة انفصالاً شبه كليّ عن مديرية المصالح العقارية في محافظة إدلب، وتستعين فيها فقط في أمور المساحة، ولذلك اختلفت دائرة سراقب عن المديرية ودوائرها في موضوع الموافقة الأمنية أيضاً.

وتعتبر دائرة المصالح العقارية في سراقب الدائرة الوحيدة من بين دوائر المديرية الخمسة الفرعية، التي لم تتبنى العمل بالموافقة الأمنية، حيث تعمل الدوائر الخمس الباقية بها، وتراها متممة لقصر التصرف.

وحول ذلك قال «علي جميل العلي» مدير دائرة العقاري في مدينة سراقب لـ «زيتون»: «عملنا في دائرة سراقب منفصل عن المديرية العامة في إدلب، لأننا جهة تتبع للمجلس المحلي، ونحن في دائرة المصالح العقارية في سراقب لا نحتاج إلى موافقة أمنية، فنحن نعمل حسب قانون السجل العقاري الأساسي لعام 1926 وتعديلاته ، أما بالنسبة للمديرية في إدلب فتعمل حسب قوانين تم تعديلها حسب الواقع».

وأضاف «العلي»: أما بالنسبة لقصر التصرف فهو يتم بإشارات المحكمة الشرعية بعد إخراج القيد وتحويل كافة العقود والمعاملات العقارية والقيود إلى كاتب التصرف في السجل، وعندما يكون هناك إشارة حجز لا يعطى حق التصرف للشخص بأملاكه إلا إذا تم السماح له بالتصرف فيها من قبل المحكمة».

الموافقة الأمنية خطوة أثارت غضب واستياء المواطنين

«حسام درويش» أحد معقبي المعاملات قال لـ «زيتون»: «إن فرض الحصول على الموافقة الأمنية التي باتت مطلوبة لكل المعاملات، حتى في الشؤون العقارية، أثار غضب واستياء المواطنين في إدلب، كون هذه الأملاك شخصية وليس لأحد الحق بالتدخل في أمور بيعها أو شرائها أو غير ذلك».

في حين يرى مدير السجل العقاري في مدينة إدلب، أنه من الأفضل أن تقوم الجهات الأمنية بتقديم لائحة بأسماء الممنوعين من التصرف، وتزويد مكتب قصر التصرف بها، ونحن نبت بالمعاملة مباشرة دون الرجوع إلى الفصائل والجهات الأمنية، وبذلك نسرّع ونسهّل عمل المواطنين.

ويرى البعض أن فرض الموافقة الامنية على المواطنين أثناء معاملاتهم ليس له من داع ما دام قصر التصرف يوفي بالغرض ويمكن الفصائل من تحديد الأشخاص الممنوعين من التصرف في أملاكهم.

«معاوية الصياصنة» أشعل شرارة الثورة وترعرع في كنفها

"كانت الرابعة فجراً عندما اعتقلوني، كنت نائماً في البيت، اقتادوني إلى مخفر الشرطة في درعا البلد، كان هناك ضابط اسمه الملازم جهاد من دير الزور. بقينا هناك أسبوعاً، كنّا تسعة أطفال، عذبونا يوميّاً صعقاً بالكهرباء وبالشَبْح. من المخفر أخذونا إلى الأمن السياسيّ، بقينا هناك ثلاثة أيّام، تعرّضنا لتعذيب أشدّ... كان التعذيب قاسياً جدّاً، حضر العميد عاطف نجيب (رئيس فرع الأمن السياسيّ بدرعا آنذاك وابن خالة بشّار الأسد) وأمر عناصره بتعليقنا على الجدران وضربنا بشدّة، كان هو يضربنا ويسألنا بعصبيّة: من يقف خلفكم ومن بعث بكم لتكتبوا على الجدران؟ وقال إنّنا (خونة!) لم أكن أعرف ما معنى هذه الكلمة وقتها. بقينا هناك خمسة أيّام، نقلونا بعدها إلى فرع الأمن الجنائيّ وفيه بقينا أربعة أيّام، أيضاً أهانونا كثيراً، كان العقيد أبو جعفر المسؤول هناك. نُقلنا بعدها إلى الشرطة العسكريّة، وفيها كنّا نضرب كلّ ساعة. من ثمّ إلى سجن غرز، ثمّ إلى جمرك درعا قبل أن يفرجوا عنّا".

أسامة الماضي

جريمة كونيّة

رجفة غريبة بدت على جسد وصوت معاوية الصياصنة وهو يستنهض ذكرياته كطفل في 24 شباط 2011، حين ألقي القبض عليه بتهمة تدوين عبارة (جاييك الدور يا دكتور) على أحد الجدران، ليكون أحد مفجّري الثورة السوريّة. يصمت معاوية ثمّ ينظر في هاتفه الخليويّ، قبل أن يتابع الحديث ويسرد بألم: "كانت ليالٍ سوداء، أشعر بخوف كبيرٍ عندما أتذكّرها. جماعة المخابرات عذّبوني، وكأنّي ارتكبت جريمة كونيّة!".

ولد معاوية صياصنة في 23 آب من العام 1994 في درعا البلد، إحدى مناطق مدينة درعا، على الحدود السورية – الأردنية، وقرب معبر ما يسمى الجمرك القديم جنوب سورية، وهاهو يبتسم اليوم مع اقتراب ما يسمّيه بـ "العيد" أي ذكرى الثورة في منتصف آذار، حين قُرعت أجراسها قبل ستّة أعوام خلت.

يلخّص معاوية شعوره، وهو يعيش اليوم في منطقة ساخنة تصنّف كمنكوبة في جنوب سورية، وفي عيونه عشرات نقاط الغموض كانت مبعثاً لأسئلة أكبر من عمره الذي قضى منه خمس سنوات طفلاً بلا طفولة حتّى غدا شابّاً، فيقول: "كانت تجربة مرعبة جدّاً".

طفولة اغتصبتها الحرب

أمضى معاوية الطفل وهو ابن الـ 15عاماً في أقبية أجهزة النظام السوريّ برفقة أطفال آخرين من درعا 21 يوماً تحت مقصلة السلطة، خلالها قامت الثورة، والآن عندما يعود إلى ذكريات ما قبل الاعتقال، مسترجعاً شريط الطفولة، تبدو على وجهه فصول الفرح الممزوج بالأمنيات المستحيلة، ويقول بحرقة: "أتمنّى أن يأتي أبي ليأخذني ويشتري لي.. يلاعبني.. كما كلّ الأولاد".

يحكي معاوية عن والده وكأنّه لم يستشهد في العام 2013 نتيجة قصف طيران النظام السوريّ لبيته. تقاعد عن العمل في العام 2012م فقد كان موظفاً في دائرة المياه لدى الدولة، وها هو معاوية الآن يعيش في ذلك المنزل مع والدته وأشقائه الثلاثة، وشقيقته الوحيدة في غرفتين جرى ترميمهما على عجل من بيته المدمّر، ولا يشعر فيه بالأمان، ففي كلّ لحظة التفاتة، ميمنة، ميسرة، وأيضاً إلى الأعلى، إلى السماء، مترقّباً صوت الطيران. يعود ويحكي بلهفة المتعطّش عن مدرسته، فهو لم يرها منذ عام 2011، لقد خسرها تماماً. قال وكأنّه يجلد نفسه: "كنت طالباً في المدرسة عندما اعتُقلت، وعند الإفراج عنّي لم أعد إليها، لأنّها دُمّرت... صعب جدّاً عليّ حين أتخيّل نفسي بلا تعليم. الآن لا توجد مدارس، كلّ شيء أصبح خطيراً، كلّ شيء اختلف، تغيّر، الحياة، الدمار يملأ البلد، الناس التي تموت، الطفولة، وأنا لم أسّس شيئاً لنفسي حتّى اليوم. مستقبلي رحل بلا رجعة".

الثورة حاضرة بمراحلها

أمّا عن الوقت الراهن فيقول معاوية بأنّه يمرّ حاليّاً بمرحلة هامّة من حياته، "إنّها المعارك المسلّحة مع الجيش الحرّ لردّ النظام السوريّ عن الدخول لمناطقنا، إنّه قتال دام وعنيف"، لكنّه في الوقت نفسه بنظره "واجب"، ويتحدّث هنا بواقعيّة: "أنا مقاتل، لم أعد طفلاً. ونحن الآن هنا إمّا أن نعيش وإمّا أن نموت. الوضع أصبح صعب جدّاً..".

بين الطفولة المُغتالة وجحيم الحرب، ينمو الصراعُ بحثاً عن حياة جديدة، فالحرية كلّفته ثمناً باهظاً، خسر حلمه ووالده ورفاقه، منهم من مات ومنهم من أضحى معاقاً، ومنهم من فرّ مهاجراً. كلّ هذا بدا جزءاً من عوالم معاوية، الذي يتوق للاحتفال بالذكرى السادسة للثورة، معتبراً أنّ "ما حصل كان لازماً أن يحصل منذ زمن بعيد، إنّه قَدَر السوريّين ليقضوا على الظلم الذي دام عقوداً".

لا يسهب في سرد معاناته الخاصّة، فبين جملة وأخرى يعرض معاوية صوراً لضحايا يعرفهم، الأمر الذي خلّف في نفسه – كما يقول – كرهاً كبيراً لرأس النظام، ويقول عنه:

"هذا ليس رئيساً، إنّه مجنون، أهبل، فلتان، يقتل في كلّ مكان! يقول عنّا إرهابيّين! الإرهابيّ هو القاتل، وهو من لا يفرج عن المعتقلين، هو الذي يحاصر النساء والأطفال!". ويرى أنّ الردّ على ذلك هو بالثورة، التي يتغنّى بها معاوية ويعتبرها أمّه، وتراها غائرة في أعماقه، لتبرز معها مشاعر الطفل الثوريّ، فهي: "كرامة، حرّيّة، هي كلّ شيء..."، لكنّه بالمقابل يكره الدماء، ويرى أنّ "الناس أُجبرت على حمل السلاح لتدافع عن نفسها، والحراك الشعبيّ مرّ بمراحل كان أوّلها سلميّاً، ما زلنا نتغنّى به".

لا مسكوت عنه

يأتي معاوية إلى المرحلة الحاليّة، وقد أضحت فيها "الحرّيّة" التي طالب بها بجسده الغضّ شبحاً مطارَداً في البلاد، فيما يعرّج بألم على النتائج الدموية للصراع، إذ لا تهدأ آلة القتل والدمار، ثمّ يتنهّد ببراءة الطفل ويحدّق في الجوال مرّة أخرى مخاطباً نفسه:

"هناك قصف.. اشتباكات.. عدّة شهداء وجرحى..".

على بعد أيّام ذكرى انطلاق الثورة. ومعاوية ما زال في الساحات الأولى للثورة، إنّه يعدّ العدّة حاليّاً لذلك اليوم "التاريخيّ" كما يصفه، لكنّه يرى أنّ الاحتفال يكون كلّ عام بشكل أفجع ممّا سبقه، إنّه نزيف الدم المتواصل دون هوادة. هي الحرب المجنونة في البلاد، لكنّه يتهرّب من الألم بسرعة، ويطرح سؤالاً يؤرّقه شخصيّاً: "الشعوب التي طالبت بالحرّيّة لم تُرم بالبراميل المتفجّرة والصواريخ، لماذا حصل هذا معنا فقط؟"، ويتابع مستنكراً "العالم ضدّنا.. الحرّيّة حلال عليهم وحرام علينا؟!".

وبين تراكمات الأيّام القاتمة التي لاقاها مبكّراً، طفولة أُزهقت ورُدمت، لم يعش منها سوى لحظات مليئة بالخوف الممزوج بحرقة وداع أناس جدد يوميّاً، قبل الثورة كانوا أعزّاء على قلبه سيبقى يذكرهم: عمّار الرشيدات، أحمد العاقل أبازيد، ومحمّد الفيصل أبازيد، كانوا معه منذ الصغر، هم أصدقاؤه؛ لكنّ عمّار قضى في الثورة وأحمد أصبح لاجئاً، بينما محمّد لا زال قريباً نسبيّاً من مكان معاوية، إلّا أنّه لا يستطيع الحركة بعد تعرّضه لإصابة جرّاء قصف النظام السوريّ.

ولأنّ "فاتورة الثورة الدم" كما يقول معاوية، فالمسكوت عنه ممنوع في قاموسه، إذ تتجلّى مظاهر النضج المبكّر فيه وهو يروي كيف يستيقظ صباحاً ليمتشق سلاحه ويذهب لجبهات القتال، ويبقى هناك حتّى المساء حيث يعود مرهقاً. بعدها يشحن هاتفه بطريقة المحاصرين في سورية: "عن طريق بطارية سيّارة، أيضاً نستعملها للإضاءة، فلا تأتينا الكهرباء إلّا ساعتين في اليوم فقط، أتابع الأخبار عبر الأنترنت.. ثمّ أنام.. بس هيك!!".

سنعود لنكتب

لا شيء سلبيّ في الثورة التي ساهم بتفجيرها يمكن أن يمرّ دون أن ينتقده، ويؤكّد أنّها "ثورة كلّ السوريّين، نريد حرّيّة وكرامة وعدالة.. لذلك الثورة ليست بالتطرّف ولا بالقتل. نحن ندافع عن أنفسنا فقط، وإلّا سنموت! لا يوجد احتمال آخر.. هذه هي القصّة".

تبقى حسرة في نفسه على من لن يعود، مترقّباً المجهول في قادم الأيّام، محاور بارع بسيط مقنع بأنّه صاحب قضيّة، يتنبّأ بـ "النصر القادم لا محالة، نصر السوريّين، نصر لا يتوقّف على أحد ما بالتأكيد.. لغاية اليوم سوريا بدّها حرّية، وسأرجع أنا أو أحد الشبّان لنكتب على جدران مدينتنا.. سورية التي طالبت بالحرية.. نالتها".

من طوابير المساعدات إلى تاجر ناجح

غسن شعبان

«لم أكن أتوقع أن بضع كلمات قاسية قيلت لي، ونظرة احتقار من موظف في إحدى الجمعيات الخيرية التي تساعد اللاجئين السوريين في تركيا، ستحولني إلى تاجر يمنح فرص العمل والعيش الكريم لعشرات العائلات ويعتز بذلك.

من هنا ينطلق «محمد سعيد» تاجر المواد الغذائية المقيم في مقاطعة هاتاي التركية ،وهو يروي لزيتون مسيرة نجاحه في عمله وتحوله من لاجئ ينتظر سلال المساعدات والإغاثة إلى رجل أعمال يضيف بإمكانياته الفردية شيئا إلى الحياة ويؤثر فيها.

يقول محمد: «خرجت من سوريا ككل السوريين الفارين من الموت، لم أحمل معي الكثير، حقيبة لحاجيات أطفالي، ومبلغ صغير من المال هو كل ما أمكنني جمعه من حياتي السابقة، يكفي لكي أستقر في منزل بتركيا لبضعة شهور، لكنه لا يتيح لي أن أؤسس عملاً، وسرعان ما تبخر نتيجة لارتفاع تكاليف الحياة في تركيا.

لم أتوقف عن البحث عن عمل يحفظ لي كرامتي ويضمن لي بقائي في تركيا، رغم كل الصعوبات التي كانت تعترض سبيلي من افتقاري للغة التركية إلى استغلال حاجة السوريين للعمل وبخسهم أجورهم، إلى ضيق سوق العمل بشكل عام».

«اضطررت في مرحلة ما إلى الاستعانة بمكاتب مساعدة اللاجئين، شعرت بالحياء من مزاحمتي لأناس ضعفاء تبدو عليهم علامات الفاقة والحاجة أغلبهن من النساء، أحسست بالألم لأنني لا أحب أن أكون في هذا الموقف، أنا واثق من أنني قادر على أن أقوم بعمل أكثر من الوقوف أمام مكاتب المساعدات، هكذا كنت أفكر.. لم يكن ينقصني سوى بعض الوقت للتفكير وقليلاً من والتوفيق.

محمد الذي نشأ في إحدى قرى ريف إدلب، وهو مجتمع يعتمد بشكل كلي على تصنيع مؤنته بنفسه، ولا يخلو موسم للخضار إلا وتقوم العائلات بشراء وتخزين ما تحتاجه للعام كله، ما دفعه إلى التفكير بالقيام بما يتقنه وما يحتاج إليه السوريون في بلد تختلف فيه ثقافة الطعام إلى حد ما، عن ثقافة القادمين من الشمال السوري خاصة وهم غالبية المتواجدين في المنطقة، ومن اعتياد أطفاله لبعض الأنواع من الطعام التي لم تكن متوافرة كالملوخية والباذنجان المقدد وغيرها، راح يسأل عن امكانية توفير هذه المواد.

ويبدي محمد سعادته في تذكره لبدايات عمله في بيته مع عائلته، حين بدأ بتجفيف بعض المواد تحضيراً لبيعها، ويروي بفخر عن مساعدة أطفاله الصغار له في تقطيع أوراق الملوخية أو تجفيف حبات الفلفل الأحمر أو غيرها من الأعمال التي راح يتعلم طريقة تحضيرها.

«كانت لدي بعض الخبرة في إدارة الأعمال التجارية بشكل متواضع، كما كان لدي العزيمة وهذا كل ما كنت أحتاج إليه، ولقناعتي بفاعلية العمل الجماعي وجدوى تضافر الجهود، قمت بالتنسيق مع عدة عائلات من أجل تصنيع المؤن المجففة بجودة عالية، جل العائلات السورية كانت متحمسة للعمل، فهو يحقق لها الدخل المطلوب بالشكل المناسب لها وهو عمل النساء في بيوتهن، كانت المخاطرة كبيرة رغم صغر المبالغ نظراً لإمكانياتنا المحدودة، لكنني أقدمت عليه.

وبدأت بالبحث عن أفضل الطرق في التجفيف والتخزين، ولم أبخل على المواد بما تحتاجه لكي تكون بأفضل ما يمكن، وحاولت تأمين المواد الأولية في الحفظ كزيت الزيتون الأصلي من المعصرة مثلاً، وذلك كي لا يشوب المواد أي غش أو ما يمكن أن يغير في جودة البضاعة.

ثم قمت بالخطوة الأولى وتمكنت من استئجار محل لتصريف ما أنوي صناعته من المواد المجففة، كان محلاً بسيطاً استطعت تحويله إلى مكان نظيف يوحي بالثقة».

يتابع محمد: لم نكن نساوم على جودة المواد وتمكنت بمساعدة العائلات على ترسيخ سمعة طيبة لنا في السوق المحلية، ما دفع الزبائن السوريين إلى طلب بضاعتنا بشكل خاص، تبعهم بعض الأتراك فيما بعد.

«ومع قليل من الصبر، تواردت علي عروض الطلبات لشراء المواد بالجملة، تزامنت مع طلبات من عائلات بالعمل معنا، لم أكن أنوي التقوقع، فقبلت بالقليل من الربح مقابل أن يعمل أكبر قدر من السوريين معي، وكانت هي الفكرة الصحيحة التي سمحت لي بان أتوسع بشكل كبير بالعمل، فتقاسمنا العمل وتخصصت كل عائلة بصناعة قسم من المواد وبمواصفات محددة، كما حاولنا أن ننوع في موادنا حتى لا نعتمد على صنف محدد».

ويضيف محمد: بعد ستة أشهر من العمل تمكنا من شراء شاحنة صغيرة، قمنا بتوزيع بضاعتنا على المحال، ما دفعنا إلى التفكير في تأمين المواد الأولية والتواصل مع المزارعين لتوفير مبالغ الشحن والوساطة بين التجار، وهو ما ساهم بتوسيع فريق عملنا وتشغيل يدٍ عاملةٍ أكثر من شريحة الشباب.

«التوفيق يترافق مع العمل» فقد اقترح عليه أحد معارفه وهو سائق في أحد المخابز السورية الكبيرة في المنطقة، على أن يقوم بترويج بضاعته في المدن التي يوصل إليها الخبز، فهو بطبيعة الحال يزورها بشكل يومي، وعلى علاقة طيبة بمعظم أصحاب المحال والبقاليات، وهي فرصة ساهمت بتصريف كميات كبيرة من المواد المنتجة لدى محمد، وزيادة الطلب عليها.

ويؤكد محمد أن من أكثر الأشياء التي تمسك بها هو إعطاء العاملين معه حقهم، دون استغلال لحاجتهم للعمل، فلم يكن يرغب في أن يتحول إلى شخص يشبه أولئك الذين استغلوه، وفضل الربح القليل المستمر على الربح الكبير المنقطع وهو ما ساهم بتحسين سمعته وسمعة بضاعته.

وفي كل ذلك كانت زوجته التي سهرت الليالي على توضيب وتصنيع وحفظ المؤن الحجر الأساس في نجاحه، فهي صاحبة الخبرة والحريصة منذ البداية على كل صغيرة وكبيرة، تعاملت مع العملية على أنها مؤنة بيتها، ولم تتساهل في نظافتها أو جودة محتوياتها، وهو ما يؤكده محمد حين يشير إلى فضلها الكبير على عمله، لا سيما فيما بعد انضمام بعض العائلات لهم، فقط قامت بالإشراف عليهم وتوجيههم، كما قامت بمحاولة حل بعض المشاكل التي اعترضتهم كضيق المكان ونظافته، وإليها يعود الفضل في تامين مستودع مجاني يكون مشغلاً لهن ومكاناً لحفظ المواد فيما بعد.

لا ينكر محمد أن مصاعب كثيرة اعترضته، كطلب التراخيص من قبل البلدية، وجهله اللغة التركية، والتنسيق بين العائلات، وتأمين المواد الأولية بأسعار معقولة، وهي صعوبات ما كان له من تجاوزها لولا العمل الجماعي الذي كانت تشاركه به عائلته وباقي العائلات.

محمد سعيد الذي لا يخفي سعادته بما حققه يؤكد أن فخره الوحيد هو تمكنه من مساعدة الناس وتأمين فرص العمل لهم، ناصحاً كل السوريين في كل مكان أن يتعاونوا فيما بينهم على إنجاح أعمالهم بالتكامل وليس المزاحمة، وأن لا يخشوا المنافسة، ويبذلوا قصارى جهدهم في تحسين صورة السوري الذي لا تليق به طوابير الاغاثة، حتى يتمكنوا من العيش بكرامتهم التي خرجوا من بيوتهم من أجلها.

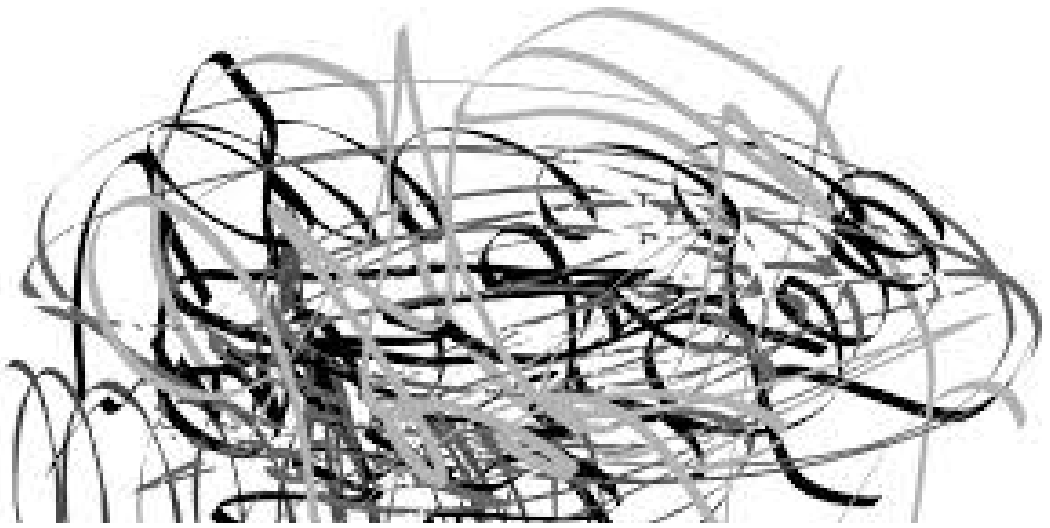

هل يمكنك أن تتكهّن ما سيكون عليه شكل بقعة من الأرض قبل أن يتوقّف البركان والزلزال اللذان تتعرّض لهما تلك البقعة؟!

كذلك –غالباً- لا نستطيع تصوير الأحداث الكبرى فنّياً، إلّا بعد مرور زمن تأخذ فيه الحياة أبعادها الجديدة، كما تتجمّد الصُهارة الناتجة عن حمم البركان، وكما تتوقّف الانهيارات والهزّات الارتداديّة بُعيد الزلزلة.

انعدام اللغة الفنية

بشار فستق

صحيح، أنّ كثيراً من الأعمال الفنّيّة كالأغاني والأفلام بأنواعها والمسرحيّات وغيرها، قد قُدّمت عن موضوع الثورة في سورية خلال السنوات الخمس التي مرّت، وعن معاناة الإنسان السوريّ خلالها، لكنّ معظم هذه الأعمال اتّخذ أسلوب الإعلام والدعاية "الثوريّة" واحتوى القليل القليل من القيم الجماليّة، حتّى أنّ بعضها دخل في البشاعة. والأهمّ، أنّها خلت من البحث في الأسلوب الفنّيّ، الذي تستدعيه الحياة الجديدة المنتظرة.

أمّا اللغة الجديدة (بالمعنى المباشر) فقد انتشرت بكثافة على مواقع التواصل الاجتماعيّ والرسائل القصيرة وغيرها، إذ أصبح لدينا كجميع الشعوب "بوستات" و"تغريدات" ولكنّ لغة مقالات الرأي والسياسيّة السوريّة بقيت كما هي إنشائيّة، وكذلك ظلّ الحوار الدراميّ (فيديوهات، سينما، مسرح) تقليديّاً في أحسن الأحوال، وساذجاً مباشراً في الغالب.

الأخطر من ذلك أنّ اللغة الفنّيّة الجديدة، التي من المفترض أن تبدأ إرهاصاتها، لم تُلمح فيما يُقدّم – على حدٍّ سواء – إنْ من المحترفين أو من الهواة المبتدئين.

ظاهرة الإذاعات تستحقّ التوقّف عندها، فكثرتها وسطحيّتها ملفتتان، عشرات الإذاعات الآن في غازي عينتاب وحدها وهي غير متابعة، ولو سألت أيّ سوريّ عن إحداها لوجدته يفتح فمه طالباً إعادة السؤال، أمّا لو تابعت برامج عدّة – لا على التعيين – تبثّ منها، فلن تجد فارقاً فيما بينها، وتنحدر اللغة إلى اللا شيء، وتختفي اللغة الإذاعيّة – حتّى القديمة منها – ليحلّ محلّها كلمات مشوّهة وترّهات تخطر على بال مذيعة غير مؤهّلة، يتخلّلها أغانٍ أو مقاطع موسيقيّة. قد توجد بعض الشذرات الجديدة الموهوبة، لكن ينقصها الكثير.

بصريّاً، ما يعرض من مشاهد مسرحيّة، في الساحات أو ضمن بعض الفعّاليّات المختلفة، يفتقر إلى الحدّ الأدنى من المستوى الفنّيّ؛ هل مازال الوقت مبكّراً لطرح هكذا آراء حول الفنّ الجديد ولغته؟

التجارب الإنسانيّة الأخرى، وبعضها ليس بعيداً زمنيّاً، تشير إلى أنّ البحث يمكن أن يبدأ، ولو بلفظ واستبعاد ما سبق مبدئيّاً، ويمكنّنا تلمّس بعض هذه المواقف اجتماعيّاً تجاه العلاقات على شكل المساكنة مثلاً، ولكنّ المعادِلات الأدبيّة والفنّيّة لم تقترب من هكذا "تابوهات" حتّى الآن. على صعيد النصوص تحديداً، لم تتجاوز الكتابات المضامين السابقة والبائسة قبل الثورة، وبعضها -خصوصاً ما سمّي رواية – بدا أضحل ممّا سبقه.

هنا قد يأتي دور المسرح كمولّد، فقدرته على خلق نصّه عبر الارتجال كما في "الكوميديا ديلّارته" تجعل الحياة تعود إلى العلاقة بين المتلقّي والممثّل إلى شكلها التفاعليّ بالمعنى الجدليّ وينتج النصّ المتحوّل المرن على طريقة السيناريو المسرحيّ الخاصّ بفنّان "الكوميديا ديلّارته" ويتوقّف هذا أساساً على ذلك الممثّل – المفكّر والذي لا يمتلك أدواته التعبيريّة فقط، وإنّما يعود بالمسرح إلى جذوره من حيث هو – أي الممثّل الجديد القديم – مؤلّف العرض ومُبدّله، ومن حيث هو ابن مجتمعه ونقيضه بآن.

ربّما، بدأ بعض الشبّان السوريّين بمحاولات في هذا الاتّجاه، عن دراية أو لا، لكنّ انتشارها لم يتحقّق بعد، رغم كلّ وسائل الاتصال الحديثة، والإعلام (الثوريّ) الذي تشوّه بشكل مريع بُعيد بدء الثورة.

وهنالك نوع من الاستخدام للمسرح في قضايا المساندة النفسيّة وغيرها، يمكن أن ينعش العمليّة المسرحيّة، لكنّ سيطرة بعض المنظّمات الجاهلة أو الفاسدة تسيء إلى العرض لأنّها تنظر إلى المسرح باحتقار، باعتباره وسيلة لخداع مموّلين واستغلال منهم بحاجة للمساندة والدعم بأنواعه.

ولا بدّ أن نشير – بكلّ أسف وألم – إلى ممارسات الحكومة السوريّة المؤقّتة، ووزارة "الثقافة" فيها، والتي من المفترض أن تكون المسؤولة عن قضيّة الثقافة الجديدة عموماً. قيل في أروقة الحكومة إنّ ٪85 من ميزانيّة وزارة الثقافة صُرف كرواتب لموظّفي الوزارة الذين لا يعرفون الثقافة من السخافة، وأنّ الـ ٪15 الباقية صُرفت قهوة وشاي.

وجوه فنية.. تحيل الأشياء إلى خزف وكريستال

عبد الرزاق كنجو

عمر حمدي.. وحرق اللوحات

رفضت الجهات الأمنية تعيينه كمعلم صف بعد تخرجه من معهد المعلمين، وبدأ يعمل ليلاً في إخراج الصحف والمجلات بالعاصمة, وتصدرت لوحاته جدران أكبر قاعات المعارض الفنيّة في دمشق وباقي المدن السوريّة .

لكنه في لحظة إحباط مؤلمة حمل لوحاته تحت إبطه, ورماها في أقرب حاوية للقمامة, وأشعل فيها النيران كما أشعل سيجارته منها, وعاد راكبا على سطح الباص إلى مدينة الحسكة في رحلة تستغرق أكثر من خمسة عشر ساعة من الزمن.

وعندما رحل خارج القطر وجد الهواء الطلق الذي يناسب رئتيه واللوحة التي تسبح فيها ريشته المتحررة.

أمّا عن صفته « العالمية » التي يسعى إليها فاعتقد بأنه لايزال يدور في فلك التجارب الفنيّة المتعدّدة. يأخذ من هنا, ومن هناك, ويدمج بين مسالك المدارس واتجاهاتها ليكوّن لنفسه مدرسة فنية خاصة به – إن جاز التعبير ـ .

قال عنه مواطنه عنايت عطار :

انه فعلا استطاع اعادة جريان الدم في الانطباعية التي كانت على وشك الزوال – لقد قالها الشاعر الفرنسي جاك بيار وهو يطّلع على اعمال عمر حمدي في مجلد بحوزتي والذي كان الفنان قد اهداني إيّاه وانا شخصيا كمهتم باللون , بحثا وأداء انه بكل بساطة يحيل الاشياء الى خزف وكريستال.

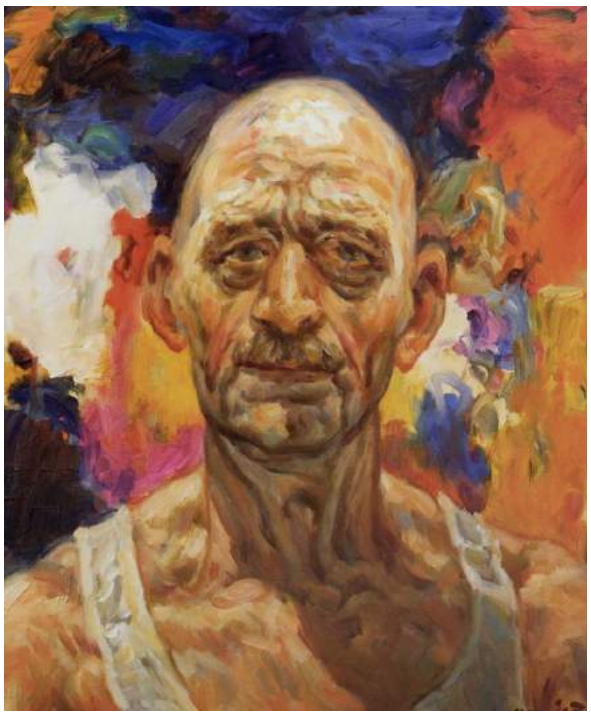

عنايت عطار وشراكة الخيال

كان عنايت عطار يهمل التفاصيل والجزئيات في لوحاته ولا يظهر فيها ملامح الوجوه أو الأيدي فإنما كان يهدف من ذلك , إشراك المشاهد في تذوّق أعماله. ويتيح له بأن يتصوّر ويتخيّل هذه الأعمال ويترجمها في ذهنه , مفسحاً المجال لمشاركة المتلقي في تذوق أعماله الفنيّة، بقع الألوان الشفافة والمتداخلة بعناية فائقة توصلنا لتكوين متوازن لعناصر اللوحة, دون ضيق أو خلل تاركاً متنفساً في فراغ وخلفية اللوحة التي غالباً مايُغنيها بالألوان المتماهية , بتوازن مدروس يمزج بين المضمون المحلي المتوارث , وبين المفاهيم الحديثة للأشكال والألوان.

وإن كان الفنان عنايت عطار قد غلبت على لوحاته تواجد المرأة بشكل لافت فذلك لقناعته وسعيه الدائم لإنعتاق المرأة الشرقية الفاضلة من التقاليد البالية وقيودها الإجتماعية المتخلفة , التي أبعدتها عن مواكبة الحضارة الإنسانية.

وحول ذلك قال عنايت عطار: المرأة عندي هي البحر والوطن والأفق والكرامة والحب والغيرة والحزن. . والجنون أيضا.

وقد امتزجت في سيمفونيّة لونية واحدة متكاملة ومتناغمة.

الفنان نذير نبعه

القلائد والأساور والخواتم المرصّعة بالأحجار الكريمة لا تترك مجالا للزينة إلاّ وتواجدت فيه بكثافة لافتةً مبالغٌ فيها كي تليق بالمرأة الشرقية المحتشمة.

ولذلك خرجت صور أعمال الفنان نذير نبعه من القاعات على شكل «بوسترات إعلانيّة كبيرة مطبوعة», وتم تعليقها بعناية على أعمدة أجمل الشوارع وأكثرها ازدحاماً في دمشق وحلب, لعرضها على أكبر عدد من الجمهور عند ذهابه وإيابه في مشاوير عند سيرهم على الأرصفة العريضة.

النهري وتصوير الكلمة

انطلق النهري بتجربة مشروع خطيّ نادرٍ وفريدٍ أراد فيه أن يدمج الرسم الذي درسه بالخط العربي الذي أجاده بكافة أنواعه السبعة المشهورة ، وعلى رأسها خط الثلث ثمّ الديواني الجلي وراح يصوغ لوحاته المكتوبة بالأحرف ليكوّن منها لوحاتٍ بصريّةٍ , تفهمها العين حتى ولو لم تقرأ حروفها تماماً , وبذلك يكون قد رسم الكلام قبل كتابته , وإخراجه بشكل يصوّر النصّ المكتوب بشكل تعبيري مفهوم لكل ناظر إليه بعينيه.

لذلك نجد ان لوحاته الخطية لها الشكل التصويري أكثر من المحتوى الحروفي مع انه لايبتعد عن قواعد الكتابة وصرامة اتصال حروفها, فكانت لوحته المبكّرة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون بهِ عدوّ اللّه وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم اللّه يعلمهم ....) والتي جاءت على شكل رأس حصان , فلم يحشر فيها الحروف ولا يراكبها بشكل معقّد أو غير مقروء.

ولنتذكر هذا الاسم دائماً فهو أوّل من صوّر الكلمة المكتوبة تصويراً ..إذّه المبدع الخطّاط سعيد النهري.

بكى سوريا فبكته.. غسان السباعي

حرص الفنان التشكيلي غسان السباعي أن يكون دائماً صادق الكلمة والريشة معاً، في إبداعاته الفنية التي نجدها في رسوماته على صفحات المجلات وأغلفة الكتب، والتي كانت تحكي لنا الرواية أو القصة ونستوعبها قبل قراءتها، لذلك كنّا نجد أنفسنا نغور داخل اللّوحة، ونستوقفها بدلاً من أن تستوقفنا نحن لفترة من الزمن، نبحث فيها عن شيءٍ مفقودٍ سرعان مانجده ونتفهّمه، وكأنه خرج من فكرنا نحن، وشاركناه بما يريد أن ينقله لنا ويعبر عنه بلغةٍ ملوّنةٍ.

اعتصر الألم قلبه وبكى طويلاً عندما شاهد أبنيتها وقباب جامع خالد بن الوليد تتهدم فوق رؤوس مواطنيه بواسطة القذائف الحربية.

عند ذلك..غادرنا ورحل الى جوار ربه في شباط العام الحالي..

فبكت عليه سوريّة. وستبكيه طويلاً.

خيول سهام منصور

كانت موضوعات لوحاتها مرتبطة دائماً بالأماكن القديمة والتراثيّة التي تعبّر عن التصاقها بالعادات العربية من كَرَم نَلحَظه بالأبواب المشرّعَة والنوافذ المفتوحة على مصاريعها والمنعكسة ظلالها على تكسّر جريان موجات نهر العاصي المتعرّج .
ذلك وجدنا الرسامة سهام منصور تتعلق بالمهرة اللاّفتة والحصان الجموح في مضامير السباق متتبّعة باهتمام , وبعين الفنان حركات القفز واستعراض جمال الحصان في أبهى الصور .
ولقد انشغلت سهام منصور التي تخرجت من الكلية عام 1974، بالفارس وبالفرس وأسقطت مواضيعها بشكل مترافق للأحداث السّياسيّة في سوريا، بل وفي الأمة العربية كلها وما تبعها من انتصارات « نادرة » أو إنكسارات متواليةٍ جعلت من حصانها الشّامخ ـ سابقاً ـ منكّس الرأس حاليّاً شاكياً مثيراً، ومستفزاً لما حوله من الأمم لعلّها تستفيق من كبوتها وتنطلق ثائرة أو طالبة لثأر من حاكم ظالم أو عدوّ مغتصبٍ، اعتمدت في تنفيذها بألوانٍ وبتقنيات متعددة تتطوّر وتتبدّل بين مرحلة من الإنتاج وأخرى، بحيث تواكب التجارب والمدارس المحليّة والعالمية وتضيف لها أبعاداً تطبعها بطريقتها وبمدرستها التي أصبحت معروفة ومسجلة باسمها .
كما اعتمدت الفنانة سهام منصور في مسيرتها الفنيّة الطويلة طرقاً وأساليب متنوعةٍ بدأتها بالتسجيلية والانطباعية، فضلاً عن مساهمتها بلوحات وطنية وقومية هادفة ومنفذة بشكل رمزي مفهوم وكأنه دعوة أو صرخة في منشور مرسوم يستفزّ أهل الوطن ويدعوهم لمواقف مبدئيّة لا تساوم عليها ولا تحيد .

عتاب حريب.. والغرق في التفاصيل

كانت ترسم بالماء الملّون الشفاف معتمدة على إسالته بعناية، وعلى تغطية المساحات المخصّصة لكل عنصر في اللوحة وفق إحساس خفيٍّ وعفويٍّ لم تكن هي قد خططت له مسبقاً , باعتبارها تعتمد على السّرعة في تثبيت العناصر ودرجات الألوان قبل جفافها لذلك غالباً ما تنهي اللوحة بجلسة واحدة , بعد تجميع الأفكارللموضوع والإستعداد له لفترة طويلة، وهو ما يتطلب سرعة ومهارة كبيرة لإنهاء اللّوحة قبل تجفافها.
امتازت ألوان لوحات الفنانة عتاب حريب بالشفافية المُطلقة وبنظافة اللّون الذي تحرص دائماً على استنباطه وتمديده بدرجات مختلفة كي تحقق من خلال ذلك الظل والنّور للوصول الى البُعدِ الثّالث , وإشعار المتأمل بالكتلة القريبة وبالكتل البعيدة التي يسبح معها النظر ويمتد داخل المشهد، مع حرصها على تقديمها المواضيع الخلوية المفرحة والبهيجة في الطبيعة الصامتة والمناظر الطبيعة، في ظل إضاءة نهارية واضحة في اللوحة، تعكس نهارات الجزيرة السورية المعروفة بطول النهار وشدّة انعكاسه وغالبا ما تكون لقطتها من ارتفاع عالٍ وواضح فوق مستوىً النظرِ, إلاّ أننا لا نشعر بتقصّدها ذلك لأنّ أعيننا تغرق في التفاصيل وتتابع حجارة الجدران المهجورة هنا والشبابيك الكثيفة هناك , أو قوارب الصيادين المتناثرة فوق سطح الماء الأزرق .
وإضافة لكونها مدرّسة في المعاهد والجامعات فلقد عملت على تصميم الأزياء والملابس للمسرحيات والبرامج التلفزيونية ,وحازت على الكثير من الجوائز المحليّة والعالميّة , وامتازت لوحاتها بإضفاء المزيد من البهجة والفرح الى النفوس من خلال لوحات الازهار والورود التي امتازت وتفوقت فيها .

الفنان سعد يكن

اعتمد طويلا على تجسيد الأسطورة في أقصى حالات التعبير عن جماليات الحدث وتفاصيله معتمدا أيضاً على الفانتازيا البصريّة التي اعتاد على تحقيقها في معظم أعماله الفنيّة التي أوجدت إشكالية كبرى في الفنون التشكيلية وعلم الجمال بشكل عام.
وتُشعر لوحاته متلقيها بأنّها مخنوقة تريد أن تتحرر وتنطلق خارج إطار اللوحة،وتتميز بمسحة من الحزن والكآبة التي لاتفارقها حتى في مواضيع الأفراح ـ هذا إن وُجدَ الفرح ـ .
لم يعتد الفنان سعد يكن على انتاج لوحات متفرقة المواضيع وخاصة بعد أن انطلق بانتاجه الفني وانتشرت أعماله المشاركة دائما في المعارض داخل سوريا أو في المعارض الخارجية, بل راح يعتمد على العمل لإنتاج مجموعات من اللوحات تحمل الهمّ والموضوع الموحّد لذلك جاءت مجموعاته تحت اسم الأيقونة الحلبيّة, وملحمة جلجامش, وألف ليلة وليلة, والطوفان... وغيرها وذلك لأنّه كان يريد أن يعبّر بأفكاره عن مجموعة من القضايا التي لا يتسع سطح اللوحة الواحدة لها وهي مجتمعة.
قال عنه الأديب وليد إخلاصي :
« سعد يكن هو الأمين الوفيّ للذاكرة التي لم تكن شرقيّة ولا غربية, هجم بريشته ورؤيته على ماضي الحكايات, ليجعل منها حاضراً.. سيكون مستقبلاً, فكأنما يضعنا هنا في مسيرة التواصل بين الأزمان .»
لعل الفنان سعد يكن قد استبق الأحداث الدامية التي نعيشها الآن في سورية المنكوبة, وشاهد بعينه الخراب الذي حدث لأحياء مدينته في حلب فصوّر المآسي قبل حصولها.

زهير حضرموت.. هوية مميزة

عندما نقف أمام لوحاته نكاد أن نسمع منها قرع الطبول وأصوات المزامير, مترافقة بأهازيج النساء أو بخبطات أقدام الرجال في الساحات المزدانة بالأضواء وبأحواض الزهور الملونة .
كما أنّه يجهد نفسه بحشر معظم رموز الفرح , ضمن سطح اللوحة المحددة بدون ان نشعر بضيق أو بتزاحم تلك العناصرً وطغيان بعضها على بعض , بحيث نجد أعيننا تنتقل من عنصر الى آخر وكأنه مرسوم ومصاغ لمفرده بينما نجد المشهد العام يتآلف في لوحة واحدة لها موضوع محدد . وهنا تظهر براعة الفنان زهير حضرموت وتميّزه ببساطة التوليف وجمع العناصر بحرفية تركيبية غير مخلة بخطوط الرسم التي يثبت لنا تمكنه منها من جهة وبالالوان التي تمتاز لوحاته بتفردها من جهة أخرى . وهو مايؤكد هوية الفنية التي تميزه عمّن سواه .
احتار الفنّان زهير حضرموت ومنذ الصغر بالطريقة المثلى التي يستطيع أن يعبر فيها عن أحاسيسه الفنية « السمعيّة « , وبين ملكاته الإبداعية « النظريّة « المتمثلة بهواية الرسم والتصوير، لذلك كان يرسم بالصّوت .. ويعزف بالألوان .

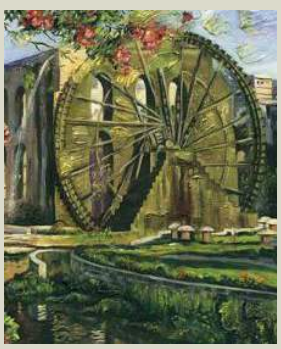

حلّ عني أيها البلوز

إبراهيم قعدوني

صباح الخير أيتها الأشجار النائمة، أيها الضباب الحنون، أيتها القبور البعيدة، أيّها الطّفل الذي بباب النهار، أيتها النغمة الضّالة، أيّها الطنين الذي في الرأس، أيتها الموسيقا الأبدية.

صباح الخير أيها العالم، إنّها تُمطر، تمطر كثيراً في بلاد الآخرين، تمطر بقسوة هذه السماء التي بلا قلب، سوفَ تبتلّ روحي المنشورة قُربَ صواني البابونج ومعقود المشمش على سطح البيتِ الأوّل.

باردةٌ هذه الريح، ولا "تشارين" أخرى تطالها الذاكرةُ الثّكلى، ها أنا أفشلُ في فتح ثغرةٍ في كتلةِ هذا الصباح الأصمّ.

ثمّة ورقات ملوّنة ويابسة صعَدَت في زوبعةٍ أنيقة، أوراق كثيرة دارت كعجلاتٍ سحرية، لبعضِها دُمرةٌ خجولة، هجَعَت على الرصيف الندي، حيث المتشرّد الملتَحِفُ بالنّعاس ينظُرُ لآخر الشارع كمن ينتظر أحداً لن يأتِي.

أمرُّ بسؤالِه اليوميّ: "Do you smoke mate?" هل تدخّن يا صاح؟ أجيبه آسفاً: أقلَعتُ منذ وقتٍ طويل ثمّ أمضي حاملاً لعنته المرتجفة.

عامل النظافة الأسود يلتقط زجاجات كحول من ليلة الأمس، يطوفُ بعربته التي تذيعُ أنغاماً وديعةً -من البلوز القديم على الأرجح-

عند الساحة الخالية سوى من بعضِ حمام لاهٍ، أنعطِفُ مع الريح وأنسلُّ في الدفء الطارئ لمقهى الكوستا حيثُ رائحة الكرواسان الساخن تمتزج بموسيقا مرحة لا تناسب لونَ هذا الصباح،"-بلاك أميريكانو- تيك أواي، بليز" (يضيف الانكليزِ الحليب لكل شيء تقريباً). تبتسم الفتاةُ العشرينية ابتسامةً معدنيةً فيما تناولني كوباً طويلاً عليه صورة لرجل ثلج بقبّعةٍ حمراء.

أهجُرُ المقهى بينما ترنُّ في رأسي رائحةُ خبزٍ منشورٍ على رصيف بعيدٍ، وفيماً أخطو خارج الباب تلاقيني الريحُ الباردة مثل ساعي بريدٍ يناولني صورةَ طفلٍ يقولون أنّه غرقَ في نهرٍ كان يحسَبُهُ غيمةً سائلة.

على المقعد الرّطب أنظُرُ في الأوراق التي تسقُطُ بجمالٍ موحِش، الأوراق ستسقُطُ دوماً، وستُراقصها الريح، ويراقبها آخرون قد لا يكون بينهم رجلٌ يمسِكُ بكوبٍ طويلٍ من القهوة -في بلادٍ لا تعرفه- ويُنصِتُ لأغنيةٍ لروبرت كراي اسمها "حلّ عنّي أيها البلوز" فيما يفكّر بطفلٍ غرقَ في نهرٍ حَسِبَهُ غيمةً سائلة.

SNP
زيتون عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع